البحث الأول

منهج الإمام العَيني في دراسة الأديان
دراسة تحليلية

إعداد

د/ إسلام رأفت إمام عبدربه

المدرس بقسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

منهج الإمام العيني في دراسة الأديان – دراسة تحليلية

إسلام رأفت عبدربه

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر

البريد الالكتروني: islamabdrabbo.٢٠١٣@azhar.edu.eg

الملخـص:

تُعَد دراسة الأديان من أهم المجالات العلمية التي حاز المسلمون فيها قصب السبق، وذلك وفق منهجية منضبطة مستمَدَّة من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بيان العقائد ومحاورة المخالفين، ومن العلماء المسلمين الذين لهم مشاركة جليلة في هذا المجال: الإمام الموسوعي بدر الدين العيني المتوفَّى سنة ٨٥٥هـ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيث ألَّف كتابًا بعنوان (المُجارَى في قطع شبه النصارى)، وذلك على أثر محاورة جرت بينه وبين أحد أساقفة النصارى، ويهدف هذا البحث إلى بيان منهج الإمام العيني في هذا الحقل المعرفي الثريّ، وقد استخدمت في هذا البحث كلا من المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي، وتمت معالجة قضايا البحث بالتعريف بالإمام العيني ونتاجه الفكري، وبيان نسبة مخطوط (المُجارَى في قطع شبه النصارى) إلى الإمام العيني، وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: إثبات صحة نسبة مخطوط (المجارى في قطع شبه النصارى) إلى الإمام بدر الدين العيني المتوفَّى سنة ٨٥٥هـ، وتبين – أيضا – من خلال هذا البحث أن الإمام العيني قد أجاد في استخدام المناهج العلمية في دراسة الأديان، ويتجلى ذلك من خلال اعتماده على المصادر الأصيلة في دراسة الديانة النصرانية، سواء في بيان حقيقتها أو التأريخ لها، مع مراعاة حسن عرض المادة العلمية وتحليلها والتعقيب عليها، هذا بالإضافة إلى توظيفه كل ملكاته ومعارفه من علوم المنقول والمعقول في الدفاع عن الدين وردّ شبهات الطاعنين، وقد اتضح ذلك جليًّا في حسن استخدامه للأدلة الكلامية والأصولية في الجدل

والمحاورة، هذا، وتتمثل أبرز توصيات البحث في: دراسة وتحقيق مخطوط (المجارى في قطع شبه النصارى) للإمام بدر الدين العيني؛ نظرًا لقيمته العلمية في مجال الدراسات الدينية المقارنة، بالإضافة إلى ضرورة توجيه الدعاة والباحثين للعناية بمناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، والسير على منوالهم تأهيلًا وعطاءً.

الكلمات المفتاحية: منهج، الإمام العيني، دراسة، الأديان.

The Biblical Approach to the Study of Religion

Islam Raafat Abd Rabbo
Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Studies, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: Islamabdrabbo.٢٠١٣@azhar.edu.eg

Abstract:

The study of religions is one of the most important academic fields in which Muslims have gained significant ground, This is in accordance with a disciplined methodology derived from the method of the Holy Qur'an and the pure Prophetic Sunnah in explaining beliefs and engaging in dialogue with opponents. Among the Muslim scholars who have made a significant contribution in this field is the encyclopedic Imam Badr al-Din al-Ayni, who died in the year ٨٥٥ AH - may God have mercy on him - as he wrote a book entitled (Al-Mujārā fi Qata' Shabh al-Naṣara), as a result of a dialogue that took place between him and one of the Christian bishops, This research aims to demonstrate Imam Al-Aini's approach in this rich field of knowledge, In this research, I used the descriptive, historical and analytical approaches. The research issues were addressed by defining Imam Al-Aini and his intellectual output, and demonstrating the attribution of the manuscript (Al-Mujārā fi Qata' Shubah Al-Naṣarā) to Imam Al-Aini. The study reached the following results: Proof of the authenticity of the attribution of the manuscript (Al-Majari fi Qata' Shubah al-Nasara) to Imam Badr al-Din al-Ayni, who died in the year ٨٥٥ AH. It also became clear through this research that Imam al-Ayni excelled in using scientific methods in studying religions, and this is evident through his reliance on authentic sources in studying the Christian religion, whether in explaining its truth or its history, while taking into account the good presentation of the

scientific material, its analysis and commentary on it, This is in addition to his employing all his faculties and knowledge of the sciences of transmission and reason in defending the religion and responding to the doubts of the attackers. This was clearly evident in his good use of theological and fundamentalist evidence in debate and dialogue. The most prominent recommendations of the research are: studying and verifying the manuscript (Al-Majari fi Qata'a Shabh Al-Nasara) by Imam Badr Al-Din Al-Ayni, due to its scientific value in the field of comparative religious studies, in addition to the necessity of directing preachers, Researchers should pay attention to the approaches of Muslim scholars in studying religions, and follow their example in terms of qualification and contribution.

Keywords: Methodology, Imam al-Ayni, Study, Religions.

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد،

فيقول الله – تعالى – في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [1]

ويقول رسولنا الكريم ﷺ : " أنا أوْلى الناسِ بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلَّات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[2]

لقد بعث الله أنبياءه ورسله بدين الإسلام، دين التوحيد الخالص لله ﷻ، وجعل لكل أمة شرعة ومنهاجا، وكلما وقع الانحراف والتحريف، بعث الله رسولًا ليرد الناس إلى جادة الصواب، ويبين لهم الحكمة وفصل الخطاب، ويدعوهم إلى ما فيه خيرُ العاجل وحسنُ المآب؛ فلما فشا الشرك والجهل، وخبا نور العلم والعمل، أذن الله ببعثة الرسول الخاتم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح رقم ٣١٨٧. و" قوله: (علات)، بفتح العين المهملة وتشديد اللام وفي آخره تاء مثناة من فوق، وهم الأخوة لأب من أمهات شتى ... وقوله: (أمهاتهم شتى ودينهم واحد) معناه: أن أصولهم واحدة وفروعهم مختلفة؛ يعني: أنهم متفقون فيما يتعلق بالاعتقاديات المسماة بأصول الديانات كالتوحيد وسائر مسائل علم الكلام، مختلفون فيما يتعلق بالعمليات وهي الفقهيات، ... قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٨٤). ويقال: دينهم أي: أصول الدين وأصول الطاعات واحد، والكيفيات والكميات في الطاعة مختلفة." (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، (١٦/ ٣٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.)

سيدنا محمد ﷺ، فأقام به الحجة، وأوضح المحجة، وجعل كتابه – القرآن الكريم – مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، وجعل شريعته ناسخة لجميع الشرائع، مشتملة على ما حوته تلك الشرائع من الخيرات والمنافع؛ ففتح الله ﷻ به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غُلفًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وعمَّ نورُ الإسلام أرجاءَ المعمورة بفضل الله سبحانه وتعالى.

ولكنّ فريقًا من أهل الكتاب – اليهود والنصارى – جحدوا نبوة سيدنا محمد ﷺ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1]، وناصبوه العداء، واجتهدوا في النيل من ثوابت دينه؛ فأيَّد الله نبيه ﷺ بالوحي الشريف، حتى عاد كيدهم في نحورهم، ورجعت سهامهم إلى صدورهم، ومع ذلك لم يكفّوا عن مطاعنهم وافتراءاتهم، فقيّض الله – تعالى – ورثة نبيه ﷺ من العلماء العاملين لكشف زيغ الزائغين ورد شبهات الطاعنين، وذلك تحقيقًا لنبوءة رسولنا الكريم ﷺ؛ حيث قال: " يرث هذا العلمَ من كل خلَف عدولُه، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين"[2]

ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا مِلْءَ السمعِ والعينِ الإمامُ الموسوعيّ بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث كان له باع عظيم في هذا المجال، وكان من أرباب هذا النضال، ولقد أبان عن سعة علمه، وقوة تمكنه في علم (مقارنة الأديان) من خلال كتابه الموسوم بـ (المُجارَى في قطع شبه النصارى) الذي ألّفه على أثر محاورة جرت بينه وبين أحد أساقفة النصارى حول إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإبطال ألوهية عيسى عليه السلام، وقد قسّم الإمام العيني ذلك الكتاب – الذي ما زال مخطوطًا – إلى عشرة فصول سيأتي بيانها عند التعريف بهذا الكتاب وتوثيق نسبته إلى مؤلفه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(٢) أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، ح٢٠٩١١

ونظرًا لأهمية ذلك الكتاب، استخرت الله ﷻ في كتابة هذا البحث؛ لأبين جانبًا جديدًا من تراث الإمام العيني ، ولأبرز رافدًا متجددًا من نتاجه الفكري، ولأوضح ملامح منهجه في دراسة الأديان؛ حتى يكون ذلك نبراسًا للباحثين والمتخصصين؛ فيقتفوا أثره، وينهجوا نهجه؛ وحينئذ يكونون خير ذخر لدينهم ولأمتهم. جعلنا الله منهم بفضله ورحمته، وجزى الله الإمام العيني وسائر علمائنا خير الجزاء.. اللهم آمين.

هذا، وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: **"منهج الإمام العيني في دراسة الأديان: دراسة تحليلية"**

أسباب اختيار الموضوع:

١- المكانة العلمية المرموقة للإمام بدر الدين العيني، وعطاؤه الفكري المتنوع في علوم المنقول والمعقول.

٢- أهمية مخطوط الإمام العيني الموسوم بـ (المُجارَى في قطع شبه النصارى)، وصلته الوثيقة بالدراسات الدينية المقارنة.

٣- أن سبب تأليف الإمام العيني لذلك الكتاب (المخطوط) – كما صرّح بذلك في مقدمته* – محاورةٌ جرت بينه وبين أحد أساقفة النصارى في أواخر القرن الثامن الهجري، وذلك من أعظم دواعي دراسته ونشره؛ نظرًا لما يمثّله من واقع الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في تلك المرحلة التاريخية الفارقة؛ التي جاءت عقب نهاية الحروب الصليبية في أواخر القرن السابع الهجري؛ ومن ثمَّ عُني أعداء الإسلام بحشد طاقاتهم في الميدان الفكري بعد فشلهم في الميدان العسكري.

تساؤلات الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة بيان منهج الإمام بدر الدين العيني في دراسة الأديان، وذلك

* سيأتي بيان ذلك في التمهيد – إن شاء الله –.

من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

١- من هو الإمام العيني؟ وكيف أثرت عوامل النشأة في تأهيله العلمي؟ وما أبرز مصنفاته؟

٢- ما مدى صحة نسبة مخطوط (المجارَى في قطع شبه النصارى) إلى الإمام العيني؟ وما أبرز القضايا التي يتضمنها؟

٣- ما أهمّ المناهج التي وظّفها الإمام العيني في دراسة الأديان؟ وما أبرز تطبيقاتها؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء - قدرَ المستطاع - لم أجد دراسة علمية تتناول منهج الإمام العيني في دراسة الأديان، ولكني وجدت بعض الدراسات التي تناولت جوانب أخرى من آراء الإمام العيني ومنهجه وتراثه الفكري، وبيانها كما يلي:

١- **الدراسة الأولى بعنوان: (البدر العيني ومنهجه في عمدة القاري)**. وهي عبارة عن رسالة دكتوراه للباحث/ أحمد محرم الشيخ ناجي، وهي محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر، برقم (٢٩٣٤).

٢- **الدراسة الثانية بعنوان: (تحقيق مخطوط عقد الجمان لبدر الدين العيني في الفترة من ٧٢٣- ٧٤١هـ)**. وهي عبارة عن رسالة دكتوراه للباحثة/ كريمة حسين عسقلاني، وهي محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر، برقم (١٩١٣٩).

٣- **الدراسة الثالثة بعنوان: (كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني الفترة من (٧٨٤- ٨٠١هـ) تحقيق ودراسة)**. وهي عبارة عن رسالة دكتوراه للباحث/ محمد عبد الحميد راغب، وهي محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر، برقم (١٥٨٩).

٤- **الدراسة الرابعة بعنوان: (المنهج التاريخي لبدر الدين العيني في كتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)**. وهي عبارة عن رسالة دكتوراه للباحث/ الديب عطية

علي عثمان، وهي محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر، برقم (١٣٩٢٨).

٥- الدراسة الخامسة بعنوان:(الإمام العيني وأثره في الفقه الإسلامي). وهي عبارة عن رسالة ماجستير للباحث/ حافظ عبد الحفيظ عبد الحميد، وهي محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر، برقم (٥٥٨٥).

وبالتأمل في تلك الدراسات السابقة نجد أن كلًّا منها تناول أحد جوانب تراث الإمام العيني ومنهجه سواء في المجال الحديثي أو التاريخي أو الفقهي. وهكذا يتبين أنّ موضوع البحث يتميز عن تلك الدراسات؛ حيث إنه يكشف عن زاوية جديدة من تراث الإمام العيني ومنهجه في مجال مقارنة الأديان.

حـــدود البحـث:

يتناول هذا البحث بيان منهج* الإمام العيني في دراسة الأديان، وذلك من خلال كتابه (المُجارَى في قطع شبه النصارى)، مع الاستعانة أحيانا بمؤلفاته الأخرى لتوضيح بعض آرائه في قضايا الدراسة.

خطـة البحـث :

لقد جاء هذا البحث مشتملًا على مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ، وبيانها كالتالي:

* **المقدمة**، وتتضمن الحديث عمّا يلي: (أهمية موضوع البحث – أسباب اختيار الموضوع – تساؤلات الدراسة – الدراسات السابقة وأهمّ ما يتميز به هذا البحث – حدود البحث – خطة البحث).

---

* أعني المناهجَ العلمية التي وظّفها الإمام العيني في دراسة الأديان، والمنهج العلمي هو: " الطريق المؤدِّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سَيْر العقل، وتحدّد عملياته الفكرية؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة." (منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٤، بدون بيانات نشر)

*** التمهيد، وفيه ما يلي:**

أولًا: التعريف بالإمام العيني ونتاجه الفكري.

ثانيًا: التعريف بمخطوط (المُجارَى في قطع شبه النصارى)، وتوثيق نسبته إلى الإمام العيني.

*** المبحث الأول: المنهج الوصفي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان،** وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الوصفي وأهميته وأسسه.

المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الوصفي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان.

*** المبحث الثاني: المنهج التاريخي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان،** وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج التاريخي وأهميته وأسسه.

المطلب الثاني: تطبيقات المنهج التاريخي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان.

*** المبحث الثالث: المنهج الجدلي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان،** وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الجدلي وأهميته وأسسه.

المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الجدلي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان.

*** الخاتمة،** وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم أهم المراجع وفهرس المحتويات.

هذا، والله أسأل التوفيق والسداد، وصلَّى الله، وسلَّم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهـيد

حديث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن الرسالات السابقة حديثٌ مستفيض، استلهم منه علماء المسلمين المنهجية الصحيحة لدراسة الأديان، والتراث الإسلامي حافل بالمؤلفات التي عُنِيَت بدراسة الأديان بوجه عام*، ودراسة الأديان الكتابية بوجه خاص*، وللإمام بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاركة جليلة في هذا المجال، وقد قصدت من خلال هذا البحث إماطة اللثام عنها، وبيان منهج الإمام العيني فيها، وقبل الشروع في المقصود يأتي هذا التمهيد ليقدم تعريفًا موجزًا بالإمام العيني وبكتابه (المجارى في قطع شبه النصارى)، وذلك على النحو التالي:

أولا: التعريف بالإمام العيني ونتاجه الفكري

يُعَدّ الإمام العيني من العلماء الموسوعيين الذين أثْرَوا الحياة الفكرية الإسلامية في

---

* من هذه الكتب:

– الملل والنحل، للإمام الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)

– الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)

* من هذه الكتب:

– الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)

– الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، للإمام القرطبي (ت ٦٧١هـ).

– الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي (ت ٦٨٤هـ)

– الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للإمام نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦هـ)

ولمعرفة المزيد من هذه المؤلفات يراجع: مقدمة تحقيق كتاب (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة)، للإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د/ بكر زكي عوض، ص ٣٩، ٤٠، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، وكذلك: مقدمة تحقيق كتاب (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية)، للإمام نجم الدين الطوفي، دراسة وتحقيق د/ سالم بن محمد القرني، (١/ ١٨٤–١٨٦)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط.أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

مجالات عديدة، وقد كان لبيئة النشأة أعظم الأثر في تأهيله وعطائه المتنوع في الجانبين العلمي والإداري، وفيما يلي الإشارة إلى ملامح تلك النشأة وذلك التأهيل، ثم يتم استعراض طرف من النتاج الفكري لذلك العالم الموسوعي.

اسمه ولقبه:

هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود، العينتابي، الحنفي، قاضي القضاة، بدر الدين العيني[١]

مولده ونشأته، ورحلاته العلمية، وأهم أعماله:

الإمام العيني سليلُ أسرةٍ من أهل العلم والفضل، فهو ابن الشيخ الإمام القاضي شهاب الدّين أحمد ابن الشيخ الإمام القاضي شرف الدّين موسى ابن الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن الشيخ المقري حسين ابن جمال الدين يوسف ابن بدر الدين محمود، الحلبي الأصل، العينتابي المولد، ثم القاهري، الحنفي.

انتقل أبوه من حلب إلى عينتاب* من أعمالها فولي قضاءها ووُلِد له البدر بها، وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة (٧٦٢هـ)، فنشأ بها وحفظ القرآن، وقرأه عن ظهر قلب على يد عالم القراءات الشيخ "حسين بن محمد بن إسرائيل بن ميكائيل المعز المجد الحنفي العينتابي" في سنة أربع وسبعين وسبعمائة (٧٧٤هـ)، وكان

---

(١) يراجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام السخاوي ت ٩٠٢هـ، (١٠/ ١٣١)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ت، وكذلك: نظم العقيان في أعيان الأعيان، للإمام السيوطي ت ٩١١هـ، ص ١٧٤، المكتبة العلمية – بيروت، د.ت.

* عَينتاب = عَين تاب – بفتح العين –: هي مدينة بها قلعة حصينة، كانت قديمًا من أعمال حلب، والآن تتبع دولة تركيا، وتسمى "غازي عَينتاب"، وتقع شمال الحدود السورية. (يراجع: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤/ ١٧٦)، دار صادر، بيروت، ط. ثانية ١٩٩٥م، وكذلك: المنجد في الأعلام، الأب فردينان توتل اليسوعي، ص٣٨٩، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثلاثون ٢٠١١م)

عمر الإمام العيني آنذاك اثنتي عشرة.

واشتغل بالعلوم من سائر الفنون على العلماء الكبار، فقرأ "مراح الأرواح"* في التصريف على "الشمس محمد الراعي"، وكذا قرأ عليه "الشافية" [في الصرف لابن الحاجب]، و" شرح الشمسية" [في المنطق] ...

ثم قرأ "المفصّل في النحو" [للزمخشري] على الأثير "جبريل بن صالح بن إسرائيل البغدادي الأصل العينتابي الموطن"، وتفقَّه بـ "زين الدين ميكائيل بن حسين الحنفي العينتابي"، حيث قرأ عليه "القدوري" .. وسمع عليه "مجمع البحرين" في الفقه الحنفي، .. وكذا تفقّه على يد والده [القاضي شهاب الدين أحمد].

وقرأ المعاني والبيان والبديع على الفقيه "عيسى بن الخاص بن محمود السُّرماري"، حيث قرأ عليه كتاب "التبيان في علم المعاني والبيان" للإمام الطيبي، وقرأ عليه أيضًا كتاب "مفتاح العلوم" للإمام السكاكي، وقرأ عليه أيضًا كتاب " شرح المغني في أصول الفقه"، وقرأ عليه بعض "الكشاف" للزمخشري، وسمع عليه غالبه، وقد أجازه الشيخ في رواية جميع ما أخذه عنه قراءة وسماعًا. وقد برع الإمام العيني في هذه العلوم، وباشر النيابة عن والده في قضاء عينتاب، وهو ما زال في حدود العشرين من عمره.١

---

* "مراح الأرواح": هو رسالة متداولة في علم الصرف، لأحمد بن علي بن مسعود ت ٧٠٠هـ تقريبًا. (يراجع: الأعلام، للزركلي، (١/ ١٧٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ط. خامسة عشرة ٢٠٠٢م).

(١) يراجع: (السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤- ٨٠١هـ/ ١٣٨٢- ١٣٩٨م من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، ت إيمان عمر شكري، ص ١٢٤، ١٩٨، ١٩٩، ٣١١، ٣٥٦، ٣٩٩، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.أولى ٢٠٠٢م، وكذلك: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣١)، وكذلك: الذيل على رفع الإصر = بغية العلماء والرواة، للإمام السخاوي ت ٩٠٢هـ، ت د/ جودة هلال، أ/ محمد محمود صبح، ص ٤٢٨- ٤٣٠، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط.أولى د.ت.

ولم يكتف الإمام العيني بما تلقّاه من العلوم عن شيوخ بلده، بل أراد أن ينهل من معين كبار العلماء بالبلاد المجاورة، فكانت أولى رحلاته إلى حلب في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، وتلقى العلم فيها على الشيخ جمال الدين يوسف بن موسى الملطي، حيث قرأ عليه "أصول البزدوي" [في أصول الفقه]، وسمع عليه بعض "الهداية" [في الفقه الحنفي]، وأخذ عن "حيدر الرومي" شارح "الفرائض السراجية" [في المواريث].

وخلال إقامته في حلب فرغ من تأليف باكورة مصنفاته، وهو كتاب "ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح" [في علم الصرف]، وكان قد شرع في تصنيفه وله من العمر تسع عشرة سنة [أي عام ٧٨١هـ].

ثم لم يلبث أن عاد إلى عينتاب، حيث توفي والده في العام التالي (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م).

وفي تلك السنة عرض الإمام العيني كتابه "ملاح الألواح" المذكور آنفًا على مشايخه في بلدته، فتلقوه بالقبول، وفي مقدمتهم شيخه الإمام "محمد الراعي" الزاهد الذي تلقّى الإمام العيني عنه جُلَّ علم التصريف والنحو والمعقول.

ثم توجه إلى بعض المدن الشمالية، مثل بَهْسَنا*، وكختا*، ومَلَطْية*، وهناك التقى

---

* بَهْسَنا – بالسين قبل النون –: هي قلعة حصينة مرتفعة، وبها مسجد جامع ومنبر، وهي بلدة واسعة الخير والخصب، وهي في الشمال الغربي لمدينة عَينتاب، وبينهما نحو مسيرة يومين. (تقويم البلدان، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب ت ٧٣٢هـ، ص ٣٠٣، مكتبة الثقافة الدينية، أصبهان، إيران، د.ت)

* كَختا: هي قلعة عالية حصينة، وهي أحد الثغور الإسلامية في طرف الحد الشمالي للشام، وبينها وبين مَلَطْية مسيرة يومين، وملطية عنها في جهة الغرب. (تقويم البلدان، مرجع سابق، ص ٣٠١)

* مَلَطْية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، وهي مدينة عظيمة من بناء الإسكندر، ثم صارت من بلاد الروم المشهورة، وهي تتاخم الشام، وجامعها من بناء الصحابة، حيث فتحها المسلمون في عهد الخلافة الراشدة عام ١٤هـ تقريبًا، وقد بناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة=

بعلماء هذه البلاد واستفاد منهم. ثم اتجه بعد ذلك نحو مدينة دمشق، والتقى هناك بعدد من علمائها الذين تلقى العلم عنهم ... وقد كانت رحلته هذه إلى دمشق في عام (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م).

ثم رحل إلى حلب مرة ثانية، وفي أوائل سنة ٧٨٦هـ أكمل الإمام العيني تأليف كتابه الثاني "المستجمع في شرح المجمع" [في الفقه الحنفي]، وهناك عرضه على شيوخه، فتلقوه بالقبول، وأجازوه بالإفتاء والتدريس، ولم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره.[١]

ثم توجه الإمام العيني إلى بيت الله الحرام، قاصدًا أداء فريضة الحج، وقد التقى العيني في هذه الرحلة بعدد من العلماء، ... ثم قفل راجعًا إلى بلده عينتاب ثانية حيث

=وجعل عليها سورا واحدا ونقل إليها عدة قبائل من العرب. وظلت هذه المدينة متنازَعًا عليها بين المسلمين والبيزنطيين، حتى تمت السيادة الإسلامية الكاملة عليها في عهد الدولة العثمانية سنة ١٥١٦م، والآن تتبع دولة تركيا. (يراجع: معجم البلدان، مرجع سابق، (٥/ ١٩٢، ١٩٣)، وكذلك: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ومعه (صلة تاريخ الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، عريب بن سعد القرطبي، (٣/ ٥٧٢)، دار التراث، بيروت، ط. ثانية ١٣٨٧هـ، وكذلك: البلدان، لليعقوبي ت بعد ٢٩٢هـ، ص ٢٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.أولى ١٤٢٢هـ، وكذلك: المنجد في الأعلام، ص ٥٥٢، وكذلك: موقع: ar.m.wikipedia.org، تاريخ الزيارة ٢/ ٤/ ٢٠٢٥م)

(١) يراجع: (المنهج التاريخي لبدر الدين العيني في كتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، للباحث/ الديب عطية علي عثمان، ص ١٣، ١٤، وهي رسالة دكتوراه مُجازة من قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، وكذلك: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣١، ١٣٤)، وكذلك: (السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ..) مرجع سابق، مقدمة التحقيق ص ١٧، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٦٤، ١٩٨، وكذلك: (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – العصر الأيوبي ٥٦٥– ٦٢٨هـ) لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، تحقيق ودراسة د/ محمود رزق، مقدمة التحقيق (١/ ١٩، ٢٠)، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

مكث فيها قرابة العامين، ينشر ما تعلّمه بين أهلها ومدارسها.

ثم سافر العيني إلى القدس الشريف بغرض الزيارة للأماكن المقدسة هناك، وحتى يتزود من علمائه، فالتقى هناك بالشيخ العلاء أحمد بن محمد السيرامي الحنفي ...؛ فأُعجب الشيخ بالعيني، فدعاه للذهاب معه إلى القاهرة، فوافق العيني على ذلك؛ حتى لا يفارق شيخه. وكانت رحلة العيني هذه إلى القدس في عام ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م.

وفي القاهرة لازم العينيُّ الشيخَ السيرامي في الفقه وأصوله والمعاني والبيان وغيرها ...، وكذا أخذ الفقه وغيره عن الشهاب أحمد بن خاص التركي ومحاسن الاصطلاح عن مؤلفه البلقيني وسمع على العسقلاني الشاطبية وعلى الزين العراقي صحيح مسلم والإلمام لابن دقيق العيد وقرأ على التقي الدجوي الكتب الستة ... وقريب الثلث الأول من مسند أحمد وعلى القطب عبد الكريم حفيد الحافظ القطب الحلبي بعض المعاجيم [كذا] الثلاثة للطبراني وعلى الشرف بن الكويك (الشفا) وعلى النور الفُوّي بعض الدارقطني أو جميعه، وأخذ أيضًا عن الشيخ جلال الدين أحمد بن يوسف التباني الحنفي الفقيه الأصولي النحوي، وقد أجاز الإمامَ العيني بالإفتاء والتدريس ورواية جميع مسموعاته من النقل والعقل وجميع مصنفاته ...

وبعد وفاة الشيخ السيرامي عاد الإمام العيني إلى بلاده في عام (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)، واشتغل بتأليف بعض كتبه وتصانيفه، إلى جانب اشتغاله بالوعظ والتدريس.

وبعد عدة سنوات رحل الإمام العيني إلى القاهرة، وفي نيته الاستقرار بها، فمكث فيها بقية عمره، ولم يخرج منها إلا مرات قليلة معدودة. وفي القاهرة ألف الإمام العيني معظم كتبه، وتولى عدة وظائف علمية وإدارية في عهد دولة المماليك الجراكسة، ومن ذلك أنه تولّى تدريس الفقه بالمدرسة المحمودية، وتولى تدريس الحديث بالمدرسة

المؤيدية، وتولى الحِسبة* ونظر الأحباس* وقضاء الحنفية، ولم تجتمع هذه الوظائف الثلاث في آنٍ واحد لأحد قبله.[١]

نتاجه الفكري[٢]:

لقد كان للتنشئة العلمية التي تلقّاها الإمام العيني خلال ما يقرب من ثلاثة عقود على يد والده وعلماء بلدته وغيرها من الأقطار الإسلامية دور بالغ في عطائه العلمي المتنوّع؛ ومن ثَمَّ فقد قدّم نتاجًا فكريًّا في كلٍّ من علوم اللغة العربية والفقه والحديث والتاريخ، بالإضافة إلى الدراسات الدينية المقارنة، ونظرًا لإجادته اللغة التركية؛ فقد كان

---

* الحِسبة: هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن، وموضوعها التحدّث في الأمر والنهي، والتحدّث على المعايش والصنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته. (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي ت ٨٢١هـ، (٤/ ٣٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)

* نظر الأحباس: هي وظيفة عالية المقدار، وموضوعها أن صاحبها يتحدّث في رزق الجوامع والمساجد والرّبط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة، وما هو من ذلك على سبيل البرّ والصدقة لأناس معيّنين. (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (٤/ ٣٩)

(١) يراجع: (المنهج التاريخي لبدر الدين العيني ...)، مرجع سابق، ص ١٥ – ١٧، وكذلك: (السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ..) مرجع سابق، مقدمة التحقيق ص ١٧، ١٨، ١٩– ٢٢، ص ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٨، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٠، وكذلك: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١/ ٣)، وكذلك: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣١– ١٣٣).

(٢) يراجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣٣– ١٣٥)، وكذلك: الأعلام، مرجع سابق، (٧/ ١٦٣)، وكذلك: (التعريف بالإمام بدر الدين العيني وكتابه عمدة القاري)، للباحث/ علي صلاح السواق وآخرين، ص ٨، ٩، بحث منشور في المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة طنطا، العدد الخمسون، ٢٠٢٣م، وكذلك: معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم – المخطوطات والمطبوعات، علي الرضا قره بلوط، أحمد طوران قره بلوط، ص ٣٥٧٠– ٣٥٧٦، دار العقبة، قيصري، تركيا، ط.أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

يكتب بها أحيانًا إلى جانب لغته الأم (اللغة العربية)، وفيما يلي عرض موجز لأبرز مؤلفاته.

أ- في اللغة العربية:

- "ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح" [في علم الصرف]، وهو باكورة مصنفاته.
- "وسائل الفئة في شرح العوامل المائة".

ب- في الفقه:

- "المستجمع في شرح المجمع". - "منحة السلوك في شرح تحفة الملوك"، وكلاهما في الفقه الحنفي.

ج- في الحديث:

- "شرح سنن أبي داود". - "عمدة القاري في شرح صحيح البخاري".

د- في التاريخ:

- "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"، انتهى فيه إلى سنة ٨٥٠ هـ.
- "تاريخ الأكاسرة"، باللغة التركية.

هـ- في الدراسات الدينية المقارنة:

- "المُجارَى في قطع شبه النصارى" (مخطوط)، وسيتم التعريف به في هذا التمهيد.

آراء العلماء فيه:

لقد أثنى العلماء على الإمام العيني، ومن ذلك ما يلي:

قال عنه تلميذه الإمام السخاوي*: " كان إماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها، حافظا للتاريخ وللغة كثير الاستعمال لها، مشاركا في الفنون ...، لا

* مما يدل على كون الإمام السخاوي تلميذًا للإمام العيني قوله في ترجمته: " وَكنتُ مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاء وقرض لي بعض تصانيفي وَبَالغ فِي الثَّنَاء عَليّ لفظا وَكِتَابَة ..." (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣٣)

يمل من المطالعة والكتابة، كتب بخطه جملة، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا [يعني الحافظ ابن حجر] أكثر تصانيف منه، ..."[١]

وبيَّن الإمام السخاوي أن الإمام العيني كان يجالس السلاطين، ويعلمهم أمور الدين، حيث قال: " فلمَّا تَسَلْطَنَ الأشرفُ [برسباي] صَحِبه واختصَّ به، وارتفعت منزلته عنده بحيث صار يسامره، ويقرأ له التاريخ الذي جمعه باللغة العربية، ثمّ يفسره له بالتركية؛ لتقدّمه في اللغتين، ويعلمه أمور الدين، حتى حُكِيَ أن الأشرف كان يقول: "لولاه [يعني الإمام العيني] لكان في إسلامنا شيء"."[٢]

وقال عنه الإمام ابن العماد الحنبلي: " كان فصيحا باللغتين العربية والتركية. وقرأ وسمع ما لا يحصى من الكتب والتفاسير، وبرع في الفقه، والتفسير، والحديث، واللغة، والنحو، والتصريف، والتاريخ."[٣]

وقال عنه الإمام السيوطي: " قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون، وولي حسبة القاهرة، ونظر الأحباس، وقضاء الحنفية، ... قال النواجي يمدحه :

لقد حزتَ يا قاضي القضاة مناقبًا ... يقصر عنها منطقي وبياني

وأثنى عليك النـاس شرقًا ومغــربًا ... فلا زلت محمودًا بكل لسان"[٤]

وفـاتـه:

بعد حياة حافلة بالعطاء، لقي الإمام العيني ربه؛ حيث وافته المنية في القاهرة ليلة

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣٣).

(٢) الذيل على رفع الإصر، مرجع سابق، ص ٤٣٣، ويراجع: رفع الإصر عن قضاة مصر، للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، ص ٤٣٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، (٩/ ٤١٩)، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط.أولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) نظم العقيان في أعيان الأعيان، مرجع سابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة (٨٥٥هـ)، ودفن من الغد بعد أن صلى عليه الإمام المناوي بالجامع الأزهر.١

ثانيًا: التعريف بمخطوط (المُجارَى في قطع شبه النصارى)، وتوثيق نسبته إلى الإمام العيني:

يُعَدّ كتاب (المُجارَى في قطع شبه النصارى) من أهم الكتب في مجال الدراسات الدينية المقارنة؛ نظرًا لما يمثّله من واقع الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في مرحلة تاريخية فارقة جاءت عقب نهاية الحملات الصليبية* على الشرق الإسلامي؛ حيث عُنِي أعداء الإسلام بحشد طاقاتهم في الميدان الفكري بعد فشلهم في الميدان العسكري، وقد تصدّى علماء المسلمين للرد على مطاعنهم سواء بالمحاورة والمناظرة أم بالتأليف والتصنيف، وقد جمع الإمام العيني في هذا الكتاب – محلّ الدراسة – بين الأمرين؛ حيث إن سبب تأليفه – محاورةٌ جرت بين الإمام العيني وبين أحد أساقفة النصارى في إحدى البلاد الشمالية التي كانت تقع على تخوم الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية في أواخر القرن الثامن الهجري.

وقد بين ذلك الإمام العيني في مقدمته، حيث قال: " وبعدُ، فإني قد كنت سافرت في حداثة سني وغضارة شبابي* إلى البلاد الشمالية، فجرى بي السير إلى أن أوقعني

---

(١) يراجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣٣)، وكذلك: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مرجع سابق، (٩/ ٤٢٠).

* من الجدير بالذكر أن الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي استمرت نحو قرنين من الزمان، وذلك فيما بين (٤٩٢– ٦٩٠هـ)/ (١٠٩٩– ١٢٩٢م). (يراجع: البداية والنهاية، الإمام ابن كثير ت ٧٧٤هـ، ت عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، (١٦/ ١٦٦)، (١٧/ ٦٣١– ٦٣٩)، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط. أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، وكذلك: مقدمة تحقيق كتاب (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة)، مرجع سابق، ص ٣٠– ٣٨)

* غضارة الشباب: نضارته، ويقال: اغْتُضِرَ الرجل، إذا مات شابًّا مُصَحَّحًا. (يراجع: جمهرة اللغة،

القدر في بعض أطراف الروم إلى مدينة من مدنها المشهورة التي قد خرجت منها طائفة من حكماء اليونان وانتشت فيها أكابر الأساقفة والرهبان، فأُخبِرتُ أن هناك راهبًا متعبّدًا معتزلا عن الخلائق، منقطعًا عن المواد والعلائق، يبحث مع علماء المسلمين، وينصر دين النصرانية على سائر الدين، بأدلته الفاسدة وقواعده الكاسدة، ... فتحلّيت في ذلك حتى اجتمعت به في مكان، ... فكثر بيني وبينه السؤال والجواب، وارتفعت الأصوات في الخطاب، إلى أن ألجأته إلى الإفحام والعجز والاستسلام، ببركة محمد عليه الصلاة والسلام، إلى أن كاد يأتي بالإسلام، ويرجع عن دينه الباطل المبني على الشك والأوهام، ولكن حب الرياسة في دينه أهلكه وأخرجه عن طريق النجاة في دار السلام، فندبني ذلك أن أضع مختصرًا يُفرَّق فيه بين المبطل والمُحِق، ويميّز بين الهادي والمُضِل، ..."[1]

بيانات المخطوط:

هذا الكتاب له نسخة خطية وحيدة – على حدّ علمي–، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية، تحت عنوان (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، رقم (٥٩٧) عقائد تيمور، رقم الميكروفيلم (٣٠٧٢٣). ولم أجد له نسخة خطية أخرى، رغم بحثي في الجهات المعنية بحفظ المخطوطات داخل مصر*، بالإضافة إلى البحث على شبكة

لابن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ، (٣/ ٧٤٨)، دار العلم للملايين، بيروت، ط.أولى ١٩٨٧م، وكذلك: لسان العرب، لابن منظور ت ٧١١هـ، مادة (غضر)، دار صادر، بيروت، د.ت.)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٢ ي، ش، ل ٣ ي.

* لقد قمت – بفضل الله – بزيارة بعض تلك الجهات، وهي:

– دار الكتب المصرية (دار الكتب والوثائق القومية).

– المكتبة الأزهرية الكائنة بمقر مشيخة الأزهر الشريف.

– معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية – القاهرة.

وبالبحث في قاعدة البيانات الخاصة بكلٍّ منها، لم أعثر إلا على النسخة الخطية المشار إليها أعلاه =

المعلومات الدولية (الانترنت).

وصف المخطوط:

تتكون النسخة المصورة للمخطوط من ١٧ لوحة، تقع في أول مجموع (يضم ٢٢ لوحة)، وكل لوحة بها شقان: يمين وشمال، وقد رمزت إلى الشق الأيمن بـ (ي)، وإلى الشق الأيسر بـ (ش)، ويبدأ المخطوط بصفحة العنوان الواردة في الشق الأيسر للوحة الأولى (ل١ ش)، وعلى هذا يكون المخطوط مكوَّنًا من (٣٣) صفحة، وعدد سطور كل صفحة سبعة عشر سطرًا، والنسخة حالتها جيّدة، وقد كتبت بخط واضح، وليس بها سقط أو بياض.

هذا بالإضافة إلى اللوحة التي أعدتها دار الكتب المصرية للبيانات التعريفية الخاصة بالمخطوط، وقد رمزتُ لها بـ (ل أ)، وقد ورد بها عنوان المخطوط، ورقم الحفظ بدار الكتب، وتصنيفه.

ويلاحَظ أن العنوان ورد على تلك اللوحة التعريفية هكذا: (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، وذلك وفقًا لما ورد مُثْبَتًا في اللوحة الأولى من المخطوط، حيث ورد في أعلى يمين صفحة العنوان هذه العبارة مضبوطة بالشكل هكذا: (السيف المُجَارَى في قطع شُبَهِ النصارى تصنيف الإمام العالم العلامة العيني عليه رحمة رب العالمين)

ولكن عند مطالعة مقدمة هذا المخطوط، نجد الإمام العيني يصرِّح بتسمية كتابه قائلًا: "وسمّيتُه بكتاب المجارى في قطع شبه النصارى"[١]؛ ولذلك اعتمدتُ هذه التسمية عند الإشارة إلى الكتاب أو الحديث عنه، ولعل التسمية الواردة على صفحة العنوان المشار إليها آنفًا من فعل الناسخ.

=وآمل بعد الإشارة إلى هذا المخطوط أن يدلّني من لديه معلومات عن أية نسخ أخرى خطية له؛ تمهيدًا للشروع في تحقيقه ونشره.

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٣ ي.

وفي وسط صفحة العنوان خاتم يشير إلى تملّك النسخة، مكتوب فيه: (وقف أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور بمصر).

وبعد ذلك تأتي لوحة (٢ ي)، حيث يبدأ الإمام العيني مقدمة كتابه قائلًا:

" الحمد لله الذي رفع عمد الدين المحمدي بالآيات الباهرة ..."

ثم تتسلسل فصول الكتاب، ويختم الإمام العيني كتابه في (ل ١٧ ش) بقوله:

" فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين، والحمد لله على التمام"

وهذه النسخة مؤرّخة، ومذكور في آخرها اسم ناسخها، حيث جاء في نهايتها في (ل ١٧ ش) ما يلي:

"وكان الفراغ من نسخها نهار الأربعاء بعد العصر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ١٢٤٩ على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى الزاد يوم المعاد الحاج أحمد بن الحاج محيى الدين ابن محب غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين."، وهذا يعني أن تاريخ هذه النسخة يرجع إلى نحو مائتي سنة؛ مما يدل على قيمتها العلمية.

توثيق نسبة المخطوط إلى الإمام العيني:

يُعدّ توثيق نسبة المؤلفات إلى أصحابها من أبجديات تحقيق النصوص ونشرها، ويمكن توثيق نسبة المخطوط – محلّ الدراسة – إلى الإمام العيني من خلال الأمور التالية:

١- التصريح بذكر اسم الإمام العيني على صفحة عنوان المخطوط التي بين أيدينا، كما سبق بيانه.

٢- ورود هذا المخطوط ضمن مؤلفات الإمام العيني، في (معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم) الذي أعدّه الأستاذ/ علي الرضا قرة بلوط*، بمعاونة أخيه

* هو (علي رضا) قرة بلوط بن الحاج عبد الله، القيصري، الحنفي، الماتريدي. ولد سنة ١٩٤٠م في قرية سليماني من قرى القيصرية بتركيا، تخرج في معهد العلوم الإسلامية العالي في القيصرية، وقد=

أ/ أحمد طوران قرة بلوط.١

٣- بالرغم من أن المصادر التي وقفتُ عليها في ترجمة الإمام العيني لم تذكر ذلك الكتاب ضمن مؤلفاته، ولكن بالإضافة إلى ما مرَّ من الشواهد، يمكن التدليل على نسبة الكتاب إلى الإمام العيني من خلال أسلوب الكتاب نفسه ومضمونه، مع مقابلة ذلك بما ورد في ترجمة الإمام العيني وكتبه الأخرى.

أما من حيث الأسلوب، فإنه يلاحظ التقارب النسبي بين أسلوب الإمام العيني في التقديم لكتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) وأسلوبه في التقديم لكتبه الأخرى، وبيان ذلك أنه:

يقول في مقدمة كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى): " الحمد لله الذي رفع عمد الدين المحمدي بالآيات الباهرة ... والصلاة والسلام الأتمان الأفضلان الأكملان على سيد قريش من بني معد ابن عدنان المصطفى المبعوث بالقرآن ..، وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الأوثان، وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده بالجهر والإعلان، وعلى من تبعهم بالحسن والإحسان، وعلى علماء الأمة في كل عصر

=عمل مدة ثلاثين سنة (١٩٦٨- ١٩٩٨م) في مجال الفهرسة والتصنيف بـ (مكتبة راشد أفندي القيصري) التي تعد من أهم المكتبات التي تزخر بكتب التراث الإسلامي، وقد ساعده عمله على الإلمام بذخائر التراث المخطوط والمطبوع. ومن مؤلفاته:

- معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم – المخطوطات والمطبوعات.
- فهارس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة راشد أفندي بقيصرية. (جزآن)
- فهارس المطبوعات العربية والتركية والفارسية في مكتبة راشد أفندي بقيصرية. (جزآن)

(يراجع: ترجمة المؤلف التي أعدها زميله د/ عبد العزيز بكّي، وهي ملحقة بآخر كتاب " معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم"، مرجع سابق، ص ٤٠٦٣- ٤٠٦٩)

(١) يراجع: معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم – المخطوطات والمطبوعات، ص ٣٥٧١.

وأوان ما أزهرت الأشجار وأورقت الأغصان وما تجددت الحوادث تجدد الملوان ..."[١]

ويقول في مقدمة كتابه (عمدة القاري شرح صحيح البخاري): " الحمد لله الذي أوضح وجوه معالم الدين ... (والصلاة) على من بُعِث بالدين الصحيح الحسن والحق الصريح السنن ...، وعلى آله وصحبه الكرام مؤيدي الدين ومظهري الإسلام، وعلى التابعين بالخير والإحسان، وعلى علماء الأمة في كل زمان ما تغرد قمري على الورد والبان ..."[٢]

ويقول في مقدمة كتابه (منحة السلوك في شرح تحفة الملوك): " إن أحرى ما يُملى في تباشير الخطب والديابيج، ... حمد من هدانا منهج الهداية، وشكر من أنجانا من مسلك الغواية، الذي أرشدنا دينا مضيا، وعلمنا شرعا مرضيا هنيا، وبعث إلينا نبيا صادقا أمينا، ... عليه صلوات لا ينهى عددها، ولا يحاط مبلغها، ولا يدرك أمدها، ثم على أزواجه الطاهرات، ونسائه الزاكيات، وعلى خلفائه الراشدين، وآله وصحبه أجمعين، والرضوان على علماء المسلمين، مصابيح الدنيا والدين، ما دخل الليل في النهار، وما هبت الرياح وامتدت الأنهار."[٣]

هكذا يتبين من خلال المقابلة بين مقدمات الكتب الثلاثة أنها تصدر عن معين واحد؛ حيث يلاحظ في كلٍّ منها أمران، وهما:

- السجع في العبارات.

- أنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، يخص الإمام العيني بالذكر علماء المسلمين في كل عصر وحين، وتلك لمسة

---

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٢ ي.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١/ ٢).

(٣) منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، للإمام بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، ت د/ أحمد عبد الرزاق الكبيسي، (١/ ٢٣)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط.أولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

وفاء، وذاك أدب من آداب العلماء، يتمثّله الإمام في مقدمات كتبه وتصانيفه؛ مما يؤكد نسبة المخطوط – محلّ الدراسة – إليه.

وأما من حيث المضمون، فإنه عند مطالعة مقدمة كتاب (المجارى في قطع شبه النصارى)، يُلاحظ أن الإمام العيني قد بين سبب تأليفه، مشيرًا إلى رحلته في حداثة سنه إلى البلاد الشمالية حيث وقعت المحاورة بينه وبين الأسقف النصراني، كما سبق بيانه.

وعندما نقابل هذا الحدث بما ورد في ترجمة الإمام العيني وكتبه الأخرى نجد التطابق بينهما؛ حيث إن تلميذه الإمام السخاوي قد أشار في ترجمته إلى رحلته إلى تلك البلاد الشمالية، ومنها: بَهْسَنا، وكختا، وكذلك (مَلَطْية) التي كانت من بلاد الروم المشهورة، على تخوم بلاد الشام، بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية آنذاك.١ ولعلها تلك المدينة التي وقعت فيها المحاورة المشار إليها آنفًا.

بل إن الإمام العيني صرّح بذلك في مقدمة كتابه (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)، حيث قال: " ثم إني لما رحلت إلى البلاد الشمالية الندية قبل الثمانمائة من الهجرة الأحمديّة، مستصحبا في أسفاري هذا الكتاب [يعني صحيح البخاري] لنشر فضله عند ذوي الألباب، ظفرت هناك من بعض مشايخنا بغرائب النوادر وفوائد كاللآلي الزواهر، مما يتعلق باستخراج ما فيه من الكنوز واستكشاف ما فيه من الرموز ..."٢

هكذا يتبين أن رحلة الإمام العيني إلى تلك البلاد الشمالية في شبابه ثابتة، حيث ذهب للاستفادة والإفادة، وهناك حدثت تلك المحاورة بينه وبين الأسقف النصراني؛ مما يؤكّد نسبة المخطوط إلى الإمام العيني.

٤– عدم ورود ما يخالف ما تم إثباته، والله أعلم.

---

(١) يراجع: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مرجع سابق، (١٠/ ١٣١)، وكذلك سبق التعريف بتلك البلاد في هذا البحث عند الحديث عن نشأة الإمام العيني ورحلاته العلمية، فليراجَع.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١/ ٣).

محتوى المخطوط، ومَنْحَى الإمام العيني في التأليف:

لقد استهلّ الإمام العيني كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) بمقدمة أشار فيها إلى الحادثة التي كانت سببًا في تأليفه ذلك الكتاب، ثم بين الفصول التي قسّم إليها كتابه، حيث قال:

" فوضعته على عشرة فصول:

الفصل الأول – في بيان تسمية النصارى بهذا الاسم.

الفصل الثاني – في بيان أصل دين النصرانية، ومَن وضعه؟ وكيف وضعه؟ ومتى وضعه؟

الفصل الثالث – في بيان تقسيم النصارى وبيان ملكهم وطوائفهم.

الفصل الرابع – في بيان الأناجيل، وكيف كانت؟ وكيف بُدِّلت؟

الفصل الخامس – في بيان معنى الأقنوم وروح القدس واللاهوت والناسوت والاتحاد والحلول.

الفصل السادس – في بيان اصطلاحاتهم فيما بينهم.

الفصل السابع – في بيان شرائعهم.

الفصل الثامن – في بيان بطلان دينهم وما ذهبوا إليه.

الفصل التاسع – في بيان ما وقع من الأبحاث بيني وبين ذلك الأسقف.

الفصل العاشر – في بيان أشياء متفرقة."[١]

هذا، وقد نَحَا الإمام العيني في معالجة قضايا الكتاب مَنْحًى قويمًا ينمّ عن شخصية علمية ومنهجية منضبطة؛ ولا غَرْو فقد تلقّى من علوم المنقول والمعقول ما أهّله لذلك خير تأهيل، بالإضافة إلى اطلاعه على التاريخ العام للإنسانية والتاريخ الخاص للأمة الإسلامية.

ففي هذا الكتاب القيِّم الذي قصد فيه الإمام العيني لردّ بعض شبهات النصارى –

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٣ ي.

كما يتضح من عنوانه –، يلاحَظ أن الإمام قد مهّد لذلك ببعض الفصول التي تبين حقيقة الديانة النصرانية، فبدأ ببيان تسمية (النصارى) بهذا الاسم، ثم بين طرفًا من تاريخ تلك الديانة وأهم طوائف النصارى، وبعد ذلك تحدث عن مصادر الديانة وما نالها من التحريف، ثم بين أهم عقائد القوم وشرائعهم، مشيرًا إلى بعض اصطلاحاتهم المتعلقة بالرتب الكنسية.

وبعد هذا التأصيل للحديث عن تلك الديانة، شرع الإمام العيني في المقصود من تأليف الكتاب، فناقش عقيدة التثليث لدى القوم، وأثبت بطلانها، ثم حكى المحاورة التي حدثت بينه وبين الأسقف حول إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإبطال ألوهية عيسى عليه السلام، وختم الكتاب ببيان المعجزات التي أيّد الله ﷻ بها سيدنا محمدًا ﷺ، وأن دينه ناسخ للشرائع قبله.

وهكذا تبدو أهمية هذا الكتاب في مجال الدراسات الدينية المقارنة؛ ومن ثمَّ يكون لزامًا علينا أن نتعرف على منهج الإمام العيني في هذا الشأن، وهذا ما سيتم تناوله في هذا البحث من خلال بيان أهم المناهج العلمية التي استخدمها الإمام في كتابه مشفوعةً ببعض النماذج التطبيقية من القضايا الواردة فيه.

المبحث الأول
المنهج الوصفي وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

يُعَدّ المنهج الوصفي من أهم المناهج العلمية في دراسة الأديان، وفي هذا المبحث يتم التعريف بذلك المنهج، ثم يتم عرض بعض النماذج التطبيقية عليه لدى الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الأول
التعريف بالمنهج الوصفي وأهميته وأسسه

يتبوّأ المنهج الوصفي مكانة بارزة بين مناهج البحث العلمي، وفي هذا المطلب يتم التعريف به، وبيان أهميته وأسسه على النحو التالي:

تعريف المنهج الوصفي:

تعددت التعريفات للمنهج الوصفي، ومن أبرزها ما يلي:

المنهج الوصفي هو "تناول ظاهرة أو عدة ظواهر في وضعها الحالي، وتشخيصها والبحث عن أسبابها من أجل دعم إيجابياتها إن كانت الظواهر طيبة، أو بحث سبل التغلب على الصعوبات أو المشكلات إن كانت الظواهر بها جوانب سلبية."[١]

أو هو " أسلوب من أساليب التحليل المركز لمعلوماتٍ كافيةٍ ودقيقةٍ عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية ..."[٢]

---

(١) البحث ومناهجه، د/ محمد فتحي عبد الهادي، ص ٤٤، الدار المصرية اللبنانية، ط. ثانية ٢٠٠٥م.

(٢) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، د/ رجاء وحيد دويدري، ص ١٨٣ بتصرف، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، دار الفكر، دمشق– سورية، ط.أولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

أهمية المنهج الوصفي:

" يعتبر الوصف ركنًا أساسيًّا من أركان البحث العلمي، ومنهجه من أهم المناهج المتبعة فيه؛ إذ إن الباحث الذي يرغب في الوصول إلى نتائج علمية يعتمد عليها لا بد من أن يحرص على وصف الوضع الراهن للظاهرة، وذلك برصدها وفهم مضمونها والحصول على أوصاف دقيقة وتفصيلية لها بغية الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها والمشكلات التي يدرسها."[١]

أسس المنهج الوصفي:

من المعلوم أن المنهج الوصفي لا يقتصر على الوصف المجرد للظاهرة، وإنما "يقوم هذا المنهج على وصف ظاهرة من الظواهر؛ للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها. ويتم ذلك وفق خطة بحثية معينة، وذلك من خلال تجميع البيانات، وتنظيمها، وتحليلها."[٢]

هذا، وإن "علماء المسلمين كان لهم فضل مشهود في مجال البحث الوصفي القائم على أسس علمية، وكانوا فيه روّادًا، سواء في العلوم التطبيقية أو العلوم الإنسانية؛ حيث جمعوا في ذلك المجال بين الوصف والتعليل والتحليل، ..."[٣]

هكذا يتبين أن المنهج الوصفي يُعنى بوصف الأشياء على حقيقتها بكل دقة وموضوعية، مع الشرح والتحليل للحصول على نتائج علمية موثوقة.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، د/ محمد الصاوي محمد مبارك، ص ٣٠، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط. أولى ١٩٩٢م.

(٣) البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية، مرجع سابق، ص ١٨٤ بتصرف.

المطلب الثاني
تطبيقات المنهج الوصفي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

لقد صدّر الإمام العيني كتابه الموسوم بـ (المجارى في قطع شبه النصارى) ببعض الفصول التي تجلّي حقيقة الديانة النصرانية، مراعيًا في ذلك الجمع بين الوصف والتحليل والتعليل؛ مما يدل على تطبيق الإمام العيني قواعد المنهج الوصفي في دراسة الأديان، ويتبين ذلك من خلال المسائل التالية.

المسألة الأولى – في بيان تسمية النصارى بهذا الاسم:

استهلّ الإمام العيني الفصل الأول من كتابه (المُجارَى) بقوله:

" اعلم أنهم اختلفوا في سبب التسمية بهذا الاسم، فقيل: سُمّوا نصارى؛ لأنهم من قرية بالشام يقال لها: ناصرة، فنُسِب إليها [أي الواحد منهم] على خلاف القياس، فقيل: نصراني، ويُجمع على نصارى، ولو كانت هذه النسبة على القياس لقيل في مفرده ناصريّ، ولكنه جاء على خلاف القياس، فزيدت فيه الألف والنون، كما زيدت في النسبة إلى طبريّة فقيل طبرانيّ ...

" والناصرة قريةُ جبلِ الخليل – عليه الصلاة والسلام –، وبها سمّيت النصارى، وأقام بها عيسى – عليه الصلاة والسلام – حتى بلغ ثلاثين سنة، ثم أوحى الله إليه وأرسله إلى الناس ...

وقيل: إنما سُمّي النصارى بهذا الاسم؛ لأنهم قالوا: إنا نصرنا المسيح – عليه الصلاة والسلام–. وأصل ذلك أُخِذَ من اثني عشر رجلًا الذين هم الحواريون؛ حيث قالوا: "نحن أنصار الله" لمّا قال عيسى – عليه الصلاة السلام –: "من أنصاري

إلى الله؟"* ..."[1]

هكذا يتبين أن الإمام العيني ذكر القولين المشهورين في سبب تسمية النصارى بهذا الاسم، مع التحليل والتعقيب وبيان الأصل الذي بُنِي عليه كل قول منهما.

فبيّن أن القول الأول يذهب إلى أن تلك التسمية نسبة إلى بلدة (الناصرة) التي نشأ بها المسيح عليه السلام*؛ ومن ثَمَّ نُسِب أتباعه إليها، ولكنه عقّب على هذه النسبة بأنها على خلاف القياس اللغوي.

ثم أورد القول الثاني الذي يذهب إلى أن تلك التسمية مأخوذة من نصرة الحواريين للمسيح عليه السلام مشيرًا إلى الآية الكريمة في هذ الشأن، ولم يعقِّب على هذا القول.

وعند التحقيق نجد أن السبب الأول للتسمية هو المعتبر عند النصارى أنفسهم؛ فقد ورد في معجم (المنجد في الأعلام) – الذي وضعه الأب فردينان توتل اليسوعي – ما يلي:

" الناصرة: مدينة فلسطينية في الجليل، ... موطن العذراء مريم. إليها نسبة المسيح وأتباعه النصارى."[2]

" ولقد أخبر الله – تعالى – أن هؤلاء القوم – أي النصارى – هم الذين سمَّوا أنفسهم بهذا الاسم ولم يُسمَّوْا به من قِبَل الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ

---

* يشير بذلك إلى ما حكاه الله في شأن المسيح عليه السلام، حيث قال – سبحانه –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ...﴾ (سورة الصف: ١٤)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٣ ش، ل٤ ي بتصرف.

* من الجدير بالذكر أن المسيح عليه السلام ورد ذكره منسوبًا إلى بلدته هكذا: "يسوع الناصري" في أكثر من موطن في أسفار العهد الجديد، ويراجع في ذلك على سبيل المثال: مرقس (١٦/ ٦)، يوحنا (١٨/ ٣– ٨)، أعمال الرسل (٢٢/ ٦– ٨).

(٢) المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص ٥٧٦.

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ... ﴾ [المائدة: ١٤]."[١]

" ولا يصحّ قول من يقول إن النصارى تسَمَّوا بهذا الاسم أخذًا من قول الله تعالى على لسان المسيح [عليه السلام] مخاطبًا أتباعه: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾؛ لأن الأنصار مفردها نصير وتجمع على أنصار والنسب إليها أنصاري. والأنصار هم أهل مدينة الرسول ﷺ ممن ناصروه حين هاجر إليهم."[٢]

المسألة الثانية – في بيان طوائف النصارى، واختلافهم في حقيقة المسيح عليه السلام:

أولا – بيان طوائف النصارى:

عقد الإمام العيني في كتابه (المجارى) فصلًا بعنوان (في بيان تقسيم النصارى وبيان ملكهم وطوائفهم)، وقد استهلّه بقوله:

" اعلم أنه ورد في الحديث أن النصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة*؛ فهذا المقدار عُيِّن في الحديث، وأما تقسيم ذلك وبيانه، فنقول:

كبار أمة النصارى ثلاثة، وهم: الملكية، والنسطورية، واليعقوبية.

---

(١) النصرانية بين الحقيقة والتحريف، د/ عادل محمد محمد درويش، ص ١٥، المنار للطباعة والنشر، ط.ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤، ١٥، وكذلك: المعجم الوسيط، مادة (نصر)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، استانبول، تركية، د. ت، وكذلك: المعجم الوجيز، مادة (نصر)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* يشير بذلك إلى قول الرسول ﷺ: "افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ". (سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب افتراق الأمم، ح رقم ٣٩٩٢)

وتشعّبت من هؤلاء الثلاثة سبع طوائف، وهم: الألبانية، والبلبارسية، والمقدانوسية، والسالينوسية، والأرقوسية، والنيطونوسية، واليولية؛ فهؤلاء عشرة كبار، والبقية وهم اثنتان وستون فرقة متشعّبة منهم ..."[1]

ويلاحظ هنا عدة أمور:

١- أشار الإمام العيني إلى الحديث الذي بين فيه الرسول ﷺ افتراق النصارى اثنتين وسبعين فرقة، ثم صاغ عبارته حتى تتفق مع نص الحديث فيما يخص عدد فرق النصارى، وفي ذلك تأصيل لدراسة الأديان من خلال نصوص الكتاب والسنة؛ ولا غَرْوَ فالإمام العيني من علماء الحديث المرموقين، كما سبق بيان ذلك في ترجمته.

٢- نقل الإمام العيني عن كتاب (الملل والنحل) للإمام الشهرستاني مع تغيير يسير، ولم يُصَرِّح بذلك، ومما يدل على النقل: أن الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ أسبق زمانًا من العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، وكذلك عند مراجعة كتاب الإمام الشهرستاني يتبين أن عبارته مقاربة لعبارة الإمام العيني، هكذا: " افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية. وانشعبت منها: الإليانية، والبليارسية، والمقدانوسية، والسبالية، والبوطينوسية، والبولية ... إلى سائر الفرق."[2]

٣- أضاف الإمام العيني إلى الفرق التي ذكرها الإمام الشهرستاني – فرقة أو طائفة (الأرقوسية)، وهي (الآريوسية) نسبة إلى آريوس، كما سيتبين عند ذكر أقوال طوائف النصارى في المسيح عليه السلام، فالياء تم تصحيفها إلى القاف، كما يلاحظ وقوع التصحيف في بعض أسماء الطوائف التي ذكرها الإمام العيني.

---

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٦ ي.

(٢) الملل والنحل، الإمام الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، ت محمد فريد، (١/ ٢٢٨)، المكتبة التوفيقية، د.ت

ثانيا: اختلاف طوائف النصارى في حقيقة المسيح عليه السلام:

ذكر الإمام العيني طرفًا من اختلاف طوائف النصارى في حقيقة المسيح عليه السلام، حيث قال: " قالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله ... وقد أَكْذَبَ اللهُ – تعالى – هذه الطائفة بقوله – تعالى –: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة: ١٧]

" وقالت الأرقوسية [الآريوسية]*: إن الله واحد، سمّاه أبًا [أي أن آريوس سمّى الله أبًا]، وإن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء ...

وقالت النيطينوسية*: إن الإله واحد، وإن المسيح وَلَدُ مريمَ، وإنه عبد صالح مخلوق، إلا إنه [أي أن اللهَ تعالى] شرّفه، وسمّاه "ابنًا" على التبني، لا على الولادة."[١]

هكذا يتبين أن هذه الطوائف التي ذكرها الإمام العيني – يمثّل كل منها اتجاهًا للنصارى في حقيقة المسيح عليه السلام:

---

* مما يدل على أن المقصود بـ (الأرقوسية) هو (الآريوسية): أنه عند مراجعة كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، يلاحظ أن الإمام العيني نقل ما ذكره الشهرستاني منسوبًا إلى آريوس، ونسبه العيني إلى ما أسماه (الأرقوسية) وهو تصحيف لـ (الآريوسية)، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وأما عبارة الشهرستاني، فهي كما يلي:

" وزعم "آريوس": أن الله واحد، سمّاه أبًا، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء." (الملل والنحل، مرجع سابق، (١/ ٢٣٤)

* العبارة في الأصل الذي نقل عنه الإمام العيني – وهو كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني – هكذا:

" و"بوطينوس"، و"بولس الشمشاطي" يقولان: إن الإله واحد، وإن المسيح ابتدأ من مريمَ – عليها السلام – وإنه عبد صالح مخلوق، إلا أن اللهَ تعالى شرّفه وكرّمه لطاعته، وسمّاه "ابنًا" على التبني، لا على الولادة والاتحاد." (الملل والنحل، مرجع سابق، (١/ ٢٣١)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ١٠ ش.

فاليعقوبية، تمثّل اتجاه التأليه الصريح للمسيح.

والنيطينوسية – أو البوطينوسية – (أصحاب بوطينوس الحكيم)، وكذا البولية (أصحاب بولس الشمشاطي) – يمثلان اتجاه الإقرار الصريح ببشرية المسيح.

والآريوسية، تمثل اتجاه التوحيد المَشوب بالغلوّ في شخص المسيح.

والاتجاه الثالث (الآريوسية) يحتاج إلى مزيد توضيح؛ نظرًا لاختلاف الآراء حول عقيدة (آريوس) الذي كان يتزعّم هذا الاتجاه، وخاصة في مجمع نيقية (٣٢٥م)، معترضًا على القائلين بأزلية المسيح ومساواته للآب في الجوهر.[١]

والسؤال الذي يرد في هذا المقام: هل كان (آريوس) على التوحيد الخالص؟ أو – بعبارة أدقّ– هل كان قول (آريوس) في المسيح عليه السلام كقول المسلمين فيه؟

والجواب كما يلي:

لقد ذكر الإمام الشهرستاني عقيدة آريوس مفصّلة، حيث قال:

" زعم آريوس: أن الله واحد، سماه أبا. وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء.

وزعم: أن لله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح، وأنها واسطة بين الآب والابن، تؤدي إليه الوحي.

وزعم أن المسيح ابتدأ جوهرا، لطيفا، روحانيا، خالصا، غير مركب، ولا ممزوج بشيء من الطبائع الأربع*، وإنما تدرّع بالطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم."[٢]

وبالتأمل في عقيدة (آريوس) المذكورة، يتبين أنه يقول بوحدانية الله وأزليته، وهذا يوافق عقيدة المسلمين، ولكنه سمّاه (أبًا).

---

(١) يراجع: الملل والنحل، مرجع سابق، (١/ ٢٢٩).

* الطبائع الأربع هي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة." (المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة (طبع).

(٢) الملل والنحل، مرجع سابق، (١/ ٢٣٤).

كما يعتقد في (الروح القدس) أنه مخلوق، وأنه أكبر من سائر الأرواح، وأنه واسطة بين الآب (الله) والابن (المسيح) يؤدي إليه الوحي، وهذا قريب من عقيدة المسلمين في أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ويعتقد (آريوس) في المسيح أنه:

١- كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء.

٢- مخلوق قبل العالم، وقد ابتدأ جوهرًا لطيفًا روحانيا، غير جسماني، ثم تدرّع بالجسد المأخوذ من مريم.

٣- خالق الأشياء (أي أن الله خلق الخلق بواسطته، كما سيتبين من كلام آريوس في الرسائل التالية).

ويؤكّد ذلك ما صرّح به (آريوس) نفسه فيما نُقل عنه في رسالته التي بعث بها نحو (٣٢٠م) إلى صديقه يوسابيوس النيقوميدي، حيث قال:

" الابن ليس غير مولود [يعني ليس أزليًّا]، ولا جزءًا من غير المولود بأي صورة، ولا يأتي من جوهره، بل بإرادة الآب وقراره، أتى إلى الوجود قبل كل الأزمنة والدهور، إلهًا تامًّا، وابنًا وحيدًا ... ونُضطهد لأننا قلنا: "الابن له بدء بينما الله بلا بدء". لهذا اضُطهدنا؛ ولأننا قلنا: "أتى من العدم" ..."[١]

ويقول أيضًا في رسالته التي بعث بها نحو (٣٢٠م) إلى ألكسندروس (أسقف الإسكندرية):

" نعترف بإله واحد، وحده غير مولود، وحده أزلي، وحده بدون مبدأ، وحده الحقيقي ... الذي وَلَدَ قبل الأزمنة الأزلية ابنَه الوحيد، الذي به خلقت الأزمنة والأشياء كلها، الذي

(١) المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص ٣٢٨، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ط. أولى ١٩٩٧م.

ولده حقًّا ...، وأوجده بفعل إرادته، خليقة الله الكاملة، لكنه ليس كبقية المخلوقات، ..."[1]

هكذا يتبين أن (آريوس) حاول التمسك بعقيدة التوحيد؛ حيث أقر بأن المسيح مخلوق من العدم بإرادة الله، وأنه غير مساوٍ لله في الجوهر، ولكنه سقط في الغلو في شخص المسيح؛ حيث اعتبره الابن الوحيد للآب، واعتبره كذلك إلهًا تامًّا وإن كان مربوبًا لله مخلوقًا له، هذا مع إضفاء بعض خصائص الربوبية عليه؛ حيث جعله الوسيط الذي خلق الله به الخلق " الذي به خُلقت الأزمنة والأشياء كلها"، وهذا يُبقي (آريوس) بعيدًا عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.[2]

تعقيب :

بعد هذا العرض الموجز لتلك النماذج التطبيقية، يمكن استخلاص أبرز ملامح المنهج الوصفي لدى الإمام العيني، وذلك في النقاط التالية:

١- تصدير الكلام بعبارة تمثل حلقة وصل بينه وبين القارئ، وهي: (اعْلم ...)، وكأنه يستحضر أداء الأمانة التي أناطها الله ﷻ بأهل العلم، حيث قال سبحانه: "﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]

٢- عرض الأقوال في المسألة، مع الشرح والتعليل، وردّ تلك الأقوال إلى أصلها.

٣- التعقيب على الأقوال، مع مراعاة استخدام قواعد اللغة في نقد تلك الأقوال وبيانها.

٤- حسن التقسيم والتنظيم للمادة العلمية، والبراعة في توظيفها للدلالة على المطلوب.

---

(١) المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م، مرجع سابق، ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) يراجع: (كتابات آباء ما قبل مجمع نيقية ٣٢٥م – دراسة تحليلية)، للباحث/ عبد المنعم محمد عبد المنعم أحمد، ص ٢٦، ٣٣٢، وهي رسالة ماجستير مُجازة من قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

٥- الحرص على التأصيل لدراسة الأديان من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٦- الاعتماد على المصادر الأصيلة التي يستقي منها المادة العلمية، وإن لم يُشر إليها أحيانًا*، مع مراعاة اختصار تلك المادة العلمية وإعادة نسقها الترتيبي على حسب ما يراه مناسبًا لمقتضى الحال.

* من الجدير بالذكر أنه "اختلفت مناهج المؤرخين السابقين في الإشارة إلى المصادر التي ينقلون عنها في مؤلفاتهم، ... ولم يكن عدم الإشارة إلى المصادر عيبًا كبيرًا في الكتاب آنذاك، وقد وُجِد الكثير من المؤرخين لم يذكروا مصادرهم التي نقلوا عنها إلا في القليل النادر، ومع هذا فهم من كبار المؤرخين، ومن الثقات الذين يُعتدّ بكتاباتهم. كما وُجِد هناك طائفة أخرى من المؤرخين عُنِيت بذكر مصادرها، ولكنها تفاوتت في ذلك أيضًا؛ حيث كان بعضهم يذكر موارده بصورة دقيقة، بينما البعض الآخر يذكر موارده تارة ويغفله تارة أخرى. (ابن كثير ومنهجه في الكتابة التاريخية، عبد الفتاح عبد العزيز رسلان، ص ٩٦٢، نقلا عن (المنهج التاريخي لبدر الدين العيني ...)، مرجع سابق، ص ٥٢٢ بتصرف)

المبحث الثاني
المنهج التاريخي وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

يُعَدّ المنهج التاريخي من أهم المناهج العلمية في دراسة الأديان، وفي هذا المبحث يتم التعريف بذلك المنهج، ثم يتم عرض بعض النماذج التطبيقية عليه لدى الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الأول
التعريف بالمنهج التاريخي وأهميته وأسسه

يتبوّأ المنهج التاريخي مكانة بارزة بين مناهج البحث العلمي، وفي هذا المطلب يتم التعريف به، وبيان أهميته وأسسه على النحو التالي:

تعريف المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي "هو مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، ..."[١]

أهمية المنهج التاريخي:

تكمن أهمية المنهج التاريخي في كونه يمثّل " محاولةَ استعادةِ ما كان من أحداث في الزمن الماضي بطريقة عقلية تأملية، ومن خلال تصور ذهني محض لمجريات الأحداث، إنه باختصار: نوع من المعايشة لأحداث الماضي في ضوء ما خلّفته الأحداث الماضية من آثار ووثائق ونصوص، ..."[٢]

هذا، ولا يقتصر المنهج التاريخي على المعايشة لأحداث الماضي، وإنما يُعْنَى بفهم الحاضر في ضوء تلك الأحداث والتطورات الماضية، بالإضافة إلى الكشف عن أبعادها

(١) البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية، مرجع سابق، ص ١٥١.
(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٢.

المستقبلية.[1]

أسس المنهج التاريخي:

يقوم المنهج التاريخي على رصد وتقصِّي الحقائق التاريخية والإفادة منها، "وذلك من خلال خطوات ثلاث، وهي: ١- جمع الوثائق وتصنيفها. ٢- النقد والتحليل. ٣- التركيب.

فأما الخطوة الأولى، وهي جمع الوثائق، فتُعَدّ الركيزة الأساسية في المنهج التاريخي، ... سواء أكانت الوثائق آثارًا مادية مصنوعة كالمعابد وغيرها، أم نقوشًا خطية، أم روايات ومخطوطات وكتب ورسائل؛ فالتحرّي عن هذه الوثائق بكل أنواعها هو الخطوة الأولى في عمل الناقد التاريخي."[2]

وأما الخطوة الثانية، وهي النقد والتحليل، " فتعتمد على الوثائق ونقدها، وتحديد الحقائق التاريخية، وتشمل القيام بعملين:

الأول: النقد الخارجي، ويتضمن تصحيح الوثائق، ونقد المصادر، والترتيب النقدي للمراجع، ويقابل "نقد السند في علوم الحديث".

الثاني: النقد الداخلي، ويقابل "نقد المتن".

وأما الخطوة الثالثة، وهي التركيب، فهي التأليف بين هذه الحقائق التي تم تحليلها وتفسيرها."[3]

هكذا يتبين أن "المنهج التاريخي يقوم على تتبع ظاهرة تاريخية، من خلال أحداث أثبتها المؤرخون، أو ذكرها أفراد، أو تناقلتها روايات، على أن يُخضع الباحث، ما حصل

---

(١) يراجع: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، د/ عبد الله سمك، ص ١٠١، طبعة جامعية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، وكذلك: البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣ بتصرف.

(٣) البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، مرجع سابق، ص ١٠١ بتصرف.

عليه من بيانات وأدلة تاريخية، للتحليل النقدي، للتعرف على أصالتها وصدقها."[١]

هذا، وإلى جانب ذلك الفحص الوثائقي الذي يتميز به المنهج التاريخي، بما ينطوي عليه من نقد خارجي ونقد داخلي، "نجد الإمام ابن خلدون أضاف إلى ذلك جانبًا آخر، وهو ما يُعرف بـ (قانون المطابقة) الذي يمثِّل في المنهج التاريخي حجرَ الزاوية، وقانون المطابقة هذا يستلزم النظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران*، وما يلحق هذا الاجتماع من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وهكذا حكَّم ابنُ خلدون في تمييز الحق من الباطل: أصولَ العادة، وقواعدَ السياسة، وطبيعةَ العمران ...، ولا بدَّ في كل ذلك من قياس الغائب منها بالشاهد."[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين أن المنهج التاريخي يُعْنَى بدراسة الظواهر التاريخية، وتمحيص الوثائق الخاصة بها، بالإضافة إلى عرضها على القوانين العامة للاجتماع البشري؛ حتى يتم فهم الحاضر فهمًا صحيحًا، مع مراعاة الأبعاد المستقبلية لتلك الظواهر التاريخية.

---

(١) البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، مرجع سابق، ص ٣١.

* وفي ذلك إشارة إلى العلاقة الوثيقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع؛ حيث إن "علم التاريخ .. يتبادل مع علم الاجتماع فيستفيد منه ويفيده؛ فيأخذ علم الاجتماع من علم التاريخ المواد الخام من معلومات وشواهد تاريخية ليبني عليها استنتاجاته، ويستخلص منها قوانينه ...؛ فالتاريخ هو معمل علم الاجتماع. ويستفيد علم التاريخ من علم الاجتماع معرفة القوانين التي تحكم الظواهر والنظم الاجتماعية؛ فيستنير المؤرخ عند إثبات حادثة تاريخية أو نفيها، وكذلك عند المقارنة بين الحوادث المختلفة، كما أنه يستطيع أن يفنّد أقوال من سبقه من المؤرخين فيبين مقدار ما فيها من زيف أو مبالغة أو تحامل، وبذلك يحصل المؤرخ على منهج قويم للبحث التاريخي." (تمهيد في علم الاجتماع، د/ عبد المجيد عبد الرحيم، ص ١٨٤ وما بعدها، نقلًا عن مدخل لدراسة علم الاجتماع، د/ إسماعيل عبد العليم علي، ص ٦٢، ٦٣ بتصرف، طبعة جامعية سنة ٢٠١٩م)

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٨ بتصرف.

المطلب الثاني
تطبيقات المنهج التاريخي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

لقد كان للإمام العيني دراية واسعة بأحداث التاريخ ووقائعه، بل وصنّف في ذلك بعض المصنفات، وخاصةً كتابه (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) الذي أرّخ فيه منذ بدء الخليقة حتى أحداث عصره (القرن التاسع الهجري) التي عاينها بنفسه*، وفي كتابه الموسوم بـ (المجارى في قطع شبه النصارى) تعرض للحديث عن طرف من تاريخ الديانة النصرانية، وفي هذا المطلب يتم تناول بعض المسائل في هذا الشأن، ليتبين تطبيق الإمام العيني قواعد المنهج التاريخي في دراسة الأديان.

المسألة الأولى – في بيان أحداث مجمع نيقية:

لقد عقد الإمام العيني في كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) فصلًا بعنوان: (في بيان أصل دين النصرانية ومن وضعه وكيف وضعه ومتى وضعه)، وقد استهلّه بقوله: " اعلم أن أمّة المسيح – عليه الصلاة والسلام – كانوا على دين عيسى – عليه الصلاة والسلام –، وأيضًا كانوا على شريعة موسى – عليه الصلاة والسلام –؛ لأن الإنجيل لم يكن فيه حكم ولا شريعة، وإنما كانت فيه أمثال وقصص وآيات وعبر، والأحكام إنما كانت في التوراة،

وكانوا على ذلك إلى أن ظهر قسطنطين ... وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة

---

* وقد صرّح الإمام العيني بذلك في مقدمة كتابه (عقد الجمان)، حيث قال:
" كنت جمعت في حداثة سني وعنفوان شبابي تأريخًا من مبدأ الدنيا إلى سنة خمس وثمانمائة [من الهجرة] حاويًا لقصص الأنبياء – عليهم السلام –، وما جرى بعد ذلك بين الخلفاء والملوك في كل زمان، مع الإشارة إلى وفيات الأعيان". (السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤–٨٠١هـ/ ١٣٨٢– ١٣٩٨م من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) مرجع سابق، مقدمة التحقيق ص ٩ بتصرف.

... ثم وقع اختلاف في زمانه بين بترك الإسكندرية (اكصندروس) وبين راهب آخر يقال [له] عبد الله بن أريوس؛ فذهب (اكصندروس) إلى أن عيسى ابن الله، وذهب ابن أريوس إلى أنه عبد الله ورسوله ...

فأحضرهما الملك، وأحضر معهما ما يزيد على ألفَيْ أسقف، فجمعهم في مجلس واحد، وهو المجمع الأول من مجامعهم الثلاثة المشهورة، وهم مختلفون اختلافًا متباينًا؛ فهؤلاء خمسون على مقالة، وهؤلاء ثمانون على مقالة، ... وهؤلاء مائة على مقالة، وهؤلاء مائتان على مقالة، وابن أريوس وجماعته على مقالة أخرى، فلما كثر كلامهم حار فيهم الملك قسطنطين ...، فعمد إلى أكثر جماعة منهم على مقالة من مقالتهم، فوجدهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا قد اجتمعوا على مقالة (اكصندروس)، ولم يجد طائفة بلغت عددهم، فقال: هؤلاء أولى بنصرهم، ونصر قولهم لأنهم أكثر الفرق، فاجتمع بهم خصوصًا ووضع سيفه وخاتمه إليهم، وقال: إني رأيتكم أكثر الفرق اجتمعتم على مقالتكم هذه فأنا أنصرها ..."[1]

هكذا يتبين أن الإمام العيني أشار إلى حال الديانة النصرانية قبل مجمع نيقية، ثم فصّل القول في أحداث ذلك المجمع وما ترتب عليه من نصرة قسطنطين لمذهب القائلين بتأليه المسيح، ويلاحَظ هنا عدة أمور:

١- أشار الإمام العيني إلى ما وقع من اختلاف في زمن قسطنطين بين (اكصندروس) و(آريوس)، ولكنه أسماه (عبد الله بن أريوس)، والمشهور من خلال كتب التراجم أن اسمه (آريوس)، ومن ذلك ما ورد في معجم (المنجد في الأعلام) – الذي وضعه الأب فردينان توتل اليسوعي – كما يلي:

" آريوس: كاهن إسكندري زعم أن "الكلمة" غير مساوٍ للآب في الجوهر؛ فحرمه

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٤ ش، ل ٥ ي، ش بتصرف.

المجمع النيقاوي ٣٢٥."[١]

٢- ذكر الإمام العيني الخلاف العقدي بين (اكصندروس) و(آريوس)، ولكنه صرّح بأن الأخير يذهب إلى أن المسيح هو عبد الله ورسوله.

وقد سبق تحقيق هذا الأمر – في المطلب الثاني من المبحث الأول – عند الحديث عن اختلاف طوائف النصارى في حقيقة المسيح عليه السلام، وتبين أن (آريوس) حاول التمسك بعقيدة التوحيد، حيث أقر بأن المسيح مخلوق من العدم بإرادة الله، وأنه غير مساوٍ لله في الجوهر، ولكنه سقط في الغلو في شخص المسيح؛ حيث اعتبره الابن الوحيد للآب، واعتبره كذلك إلهًا تامًّا وإن كان مربوبًا لله مخلوقًا له، هذا مع إضفاء بعض خصائص الربوبية عليه؛ حيث جعله الوسيط الذي خلق الله به الخلق.

ويؤكد ذلك ما ذكره الإمام ابن القيم – نقلًا عن المؤرخ المسيحي ابن البطريق* – في معرض حديثه عن مجمع نيقية وما سبقه من أحداث، حيث قال:

" فلما منع بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه، خرج أريوس مستعديًا عليه ومعه أسقفان، فاستغاثوا إلى قسطنطين، وقال أريوس: إنه تعدى عليّ وأخرجني من الكنيسة ظلما ... فوجّه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية، فأشخص البترك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره، فقال قسطنطين لأريوس: اشرح مقالتك. قال أريوس: أقول إن الآب كان إذا لم يكن الابن ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا إنه محدث مخلوق ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمَّى كلمةً؛ فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما ...

ودارت بينهما أيضا مسائل كثيرة،... فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان

---

(١) المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص ٤٣.

* ابن البِطْريق (٢٦٣ – ٣٢٨ هـ = ٨٧٧ – ٩٤٠ م): سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركا في الإسكندرية ... له (نظم الجوهر – ط) في التاريخ، و (الجدل بين المخالف والنصراني) ..." (الأعلام، مرجع سابق، (٣/ ٩٢)).

فجمع البتاركة والأساقفة فاجتمعوا في مدينة نيقية ..."[١]

ومن خلال هذا يتضح أن محلّ النزاع بين آريوس ومخالفيه أنه يقول: إن المسيح له بداية أي أنه مخلوق ومحدَث، ومع ذلك وقع في الغلو؛ حيث أضفى على المسيح بعض خصائص الربوبية، كما سبق بيانه.

٣- يُفهم من خلال عرض الإمام العيني لأحداث مجمع نيقية أن الملك قسطنطين انحاز لرأي الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا القائلين بتأليه المسيح؛ لأنهم كانوا أكثر فئة اجتمعت على رأي في هذا الشأن، ولم يُشر الإمام العيني إلى كون ذلك قد تمَّ بسبب ميل قسطنطين إلى هذا المذهب، ومن ثمَّ قام بنصره وفرضه على أعضاء المجمع وعلى الشعب بقوة السيف.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد أبو زهرة موجِّهًا نقده إلى تلك الجزئية من أحداث هذا المجمع:

" وأول ما يلاحظه الناقد أن الذين دُعوا إليه، وجابوا الأمصار ووصلوا إلى نيقية بدعوة من قسطنطين، وبتفاهم البطارقة فيما بينهم بلغوا ثمانية وأربعين وألفين من الأساقفة، ولكنا نجد العدد ينزل إلى ثمانية عشر وثلاثمائة أسقف، فما هي آراء الباقين؟ ولماذا أهملت كل هذا الإهمال؟ أكانوا جميعًا مختلفين في النحل والآراء، حتى إن نِحلة لم يصل عددها إلى ٣١٨، فلمّا تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التي يزيد عددها على النصف، ولو واحدًا، اتجهوا إلى الأخذ بالكثرة النسبية، وهو اعتناق الرأي الذي يأخذ به أكبر عدد في الأصوات وإن لم يصل النصف أو يقاربه؟

إن المرويَّ غير ذلك، لأن ابن البطريق يقول: إن قسطنطين هو الذي اختار أن يعقد أولئك الأساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلسًا خاصًّا بهم، وحضر هو المجلس، وأعطاهم

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، ص ١٧٣، ١٧٤ بتصرف، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.

شارة الملك والسلطان لأنهم أفلجوا على إخوانهم في زعم ابن البطريق المسيحي التثليثي، ولأن الرواة يقولون: إن أريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم انضمّ إلى آرائه أكثر من سبعمائة أسقف، وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية، لكان الواجب إذن أن يكون الغلب لأريوس الذي احتج بما تحت أيديهم من أناجيل، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها."[١]

ومع هذا، فقد كان لعصا السلطان ورهبة الملك أثر كبير في إجبار معظم أعضاء المجمع على التوقيع على قانون الإيمان النيقاوي الذي يتضمن تأليه المسيح ومساواته لله في الجوهر، ويبين ذلك ما جاء في كتاب (المجمع المسكوني الأول)، حيث ورد فيه ما يلي:

" نوقشت المسائل العالقة بين آريوس والكسندروس ... وتبين من هذا النقاش حول لاهوت الكلمة المتجسّد يسوع المسيح أن آباء المجمع انقسموا إلى ثلاثة تيارات عقائدية، كل واحد منها يدافع عن آرائه:

الأول – حزب اليمين الذي يمثّله المصريون والغربيون، وهو يؤمن بوحدانية الجوهر الإلهي، وبألوهية المسيح الابن لتامة مع تمييزه عن الآب.

الثاني – حزب الوسط، وهو أقرب إلى آريوس منه إلى حزب اليمين، وهو الممثَّل بأغلب الشرقيين بزعامة أوسابيوس النيقوميدي، وهو أيضًا يؤمن بألوهية المسيح، ولكنه يضعه في مرتبة أدنى، ويجعله خاضعًا لألوهية الآب.

الثالث – حزب اليسار الممثَّل بآريوس وأتباعه الذي يعتبر المسيح خليقة من العدم."[٢]

---

(١) محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٢٦، ١٢٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. ثالثة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٦م.

(٢) المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م، مرجع سابق، ص ١٥٧، ١٥٨.

ثم يبين ذلك الكتاب ما آل إليه النقاش بين هذه الأحزاب الثلاثة، حيث ورد فيه ما يلي:

" وفي نهاية المطاف، وبعد جدل طويل استطاع حزب اليمين أنصار الكسندروس أسقف الإسكندرية وشمّاسه أثناسيوس والأساقفة الغربيين إضافة كلمة (أوموووسيوس) أي (مساوٍ في الجوهر) إلى قانون الإيمان ... وأبعدوا بذلك كل فكرة دونية للابن تجاه الآب.

وحينئذ وافق قسطنطين على قانون الإيمان المعروض ...، وطلب من جميع آباء المجمع التوقيع عليه دون استثناء، وأمر أن يعاقَب بالنفي كل من يعارض القرارات المتَّخَذة، وكأنه يعارض القوانين الإلهية ... وهدّد بالنفي كلَّ من لا يوافق عليه ويمهره بتوقيعه.

في بادئ الأمر رفض العديد من الآباء توقيع قانون إيمان نيقية، ولكن لما بدا للجميع أن من لا يوقّع سوف ينال عقابه من الامبراطور ... وقَّعوا على دستور الإيمان النيقاوي، ...

ولم يثبت مع آريوس إلا القليل، عندها أمر قسطنطين بنفيهم إلى شمال اليونان، وطالب المجمع بحرق كتب هذا المبتدع [آريوس]، فنفّذ قسطنطين مطلبهم، ثم أصدر قانون إيمان نيقيا ... في ١٦ حزيران سنة ٣٢٥م، كقانون امبراطوري."[١]

ويشير الكاتب المسيحي (ول ديورانت) إلى أنه بالرغم مما حدث في مجمع نيقية، إلا أن كثيرًا من الأساقفة ظلوا مناصرين لآريوس ومذهبه، حيث يقول:

" مجمع نيقية الذي عُقِد في عام ٣٢٥م لم يضع حدًّا للنقاش الحاد الذي احتدم أُواره بين أثناسيوس وأريوس، بل ظل كثير من الأساقفة ... يناصرون أريوس سرًّا وجهرًا، أي أنهم كانوا يرون أن المسيح ابن الله، ولكنه لا يشترك مع الأب في مادته ولا في خلوده ..."[٢]

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٠، ١٦١ بتصرف.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، (١٢/ ١٩)، دار الجيل – بيروت، جامعة الدول

المسألة الثانية – في بيان تاريخ الكتب المقدسة لدى النصارى، وما آلتْ إليه:

أولا ـ الأناجيل المعتمدة لدى النصارى:

لقد عقد الإمام العيني في كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) فصلًا بعنوان: (في بيان الأناجيل وكيف كانت وكيف بُدِّلت)، بيّن فيه تاريخ مصادر القوم وما آلت إليه من التبديل والتحريف، حيث قال:

" اعلم أن الإنجيل نزل على المسيح – عليه الصلاة والسلام – باللغة السريانية، ثم كتب بعده أناجيل أربعة:

الأول – كتب بلغة الروم كتبه (بطرس) كبير الحواريين بمدينة رومية.

الثاني – بلغة عبراني كتبه (متّى) بالعبرانية في بيت المقدس، ونقله من بعد ذلك يوحنا بن زَبدى* إلى مدينة رومية.

الثالث – كتبه (لوقا) بلغة يونان بالإسكندرية.

الرابع – كتبه (مرقس) باللغة اليونانية أيضًا ببلاد الروم.

فصارت هذه الأناجيل الأربعة من هؤلاء الأربعة، وهم: بطرس ومتّى ولوقا ومرقس."[١]

ويلاحظ هنا ما يلي:

لقد ذكر الإمام العيني أن الإنجيل الأول من الأناجيل الأربعة كتبه (بطرس) كبير الحواريين.

وهذا القول قال به الأقدمون من علماء النصارى والمسلمين بناء على أن ذلك الإنجيل هو الإنجيل المنسوب إلى (مرقس) – أحدِ السبعين الذين اختارهم المسيح لنزول

=العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)، د.ت.

* مكتوبة في الأصل هكذا: (رندى)، والصواب ما تم إثباته. (يراجع: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص ٦٣٠)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٧ ي، ش.

الروح القدس عليهم كما يعتقد النصارى[١]-، وبيان ذلك أن (مرقس) كان تلميذًا لبطرس (سمعان بن يونا)* كبير الحواريين، وقد أخذ عنه كل ما يعلم من أقوال المسيح وأعماله، ثم قام بتدوينها.

وفي ذلك يقول الدكتور فريدريك جرانت – أستاذ الدراسات اللاهوتية -:

" لا يزال ما يرويه يابياس (حوالي عام ١٣٥م) ... هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية والأدبية في إنجيل مرقس؛ إذ يقول [فيما يرويه]:

(في الواقع إن (مرقس) الذي كان ترجمانًا لبطرس قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله، ... ولقد حدث ذلك؛ لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ولا كان تابعًا شخصيًّا له، لكنه في مرحلة متأخرة ... قد تبِع (بطرس) ...)

ويتفق مع قول يابياس هذا ما اقتبسه أرنيوس في قوله: (بعد موت بطرس وبولس ...، فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلّم إلينا كتابةً ما صرّح به بطرس)."[٢]

ويقول الإمام ابن القيم في معرض بيانه للأناجيل الأربعة لدى النصارى:

" وإنجيل ألّفه (مرقس) الهاروني تلميذ (شمعون) [يعني سمعان، وهو بطرس كبير الحواريين] بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح [يعني سنة ٥٦ تقريبًا]، وكتبه باليونانية ...، ويقولون: إن شمعون المذكور هو [الذي] ألّفه، ثم مُحِي اسمه من أوله ونُسِب إلى تلميذه مرقس."[٣]

---

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص ٤٦.

* يراجع: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها، ص ٧٣، ٧٤، نقلًا عن الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د/ يحيى محمد علي ربيع، ص ١٣٨، ١٣٩ بتصرف، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط.أولى ١٩٩٤م.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، مرجع سابق، ص ٤٨.

هذا، ومن الجدير بالذكر أن إنجيل (مرقس) يُعَدّ أقدم الأناجيل الأربعة، وعنه أخذ كلٌّ من (متّى) و(لوقا)، وفي ذلك يقول القس حبيب سعيد:

" إن هذا الإنجيل [يعني إنجيل متى] لم يذكر شيئًا من القصص والحوادث التي يرويها عادة شاهد العيان، بل قد نقل نقلًا عن إنجيل (مرقس) ..."[١]

ويقول اللواء أحمد عبد الوهاب: "من المعلوم أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل وأن كلًّا من متى ولوقا استعانا به عندما كتبا إنجيلهما."[٢]

وهنا سؤال قد يَرِد: إذا كان إنجيل (مرقس) أقدم الأناجيل الأربعة، فلماذا وُضع إنجيل (متّى) في صدر العهد الجديد؟

والجواب عن ذلك يتبين من خلال ما جاء في قاموس الكتاب المقدس، كما يلي:

" السفر [يعني إنجيل متّى] يظهر يسوع كأعظم الأنبياء والمشترعين الذي تمّم العهد القديم، وأنه (مسيًّا) الموعود به وملك شعب بني إسرائيل الحقيقي ...، وكثيرًا ما يبرز (متّى) شواهد من نبوات العهد القديم.

ولا يُعلم هل هذا الإنجيل هو الأول باعتبار زمن تأليفه إلا إنه يستحق الوضع في صدر العهد الجديد لكونه حلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد وبين الناموس والإنجيل."[٣]

وهكذا يتضح جليًّا أن الإمام العيني نسب الإنجيل الأول من الأناجيل الأربعة إلى (بطرس) كبير الحواريين، وهذا صحيح باعتبار كونه أصلَ إنجيل (مرقس) الذي يعتبر

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، القس حبيب سعيد، ص ٢٤٥، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، د.ت.

(٢) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، اللواء أحمد عبد الوهاب، ص ٦٨، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، حرف الميم، ص٣، نسخة إلكترونية بصيغة pdf على شبكة الانترنت.

أقدم الأناجيل الأربعة، كما تبين مما سبق.

ولكنه كان ينبغي ألّا يُفرِد إنجيل (مرقس) بالذكر مرة أخرى في الترتيب الرابع من الأناجيل التي ذكرها، بل الأولى أن يجعلهما إنجيلًا واحدًا، مع الإشارة إلى دور كلٍّ من (بطرس) وتلميذه (مرقس) إزاءَه، ثم يأتي في الترتيب – كما ذكر الإمام العيني– إنجيل (متّى) ثم إنجيل (لوقا) حسب الترتيب الزماني.

هذا، ويلاحَظ – أيضًا – أن الإمام العيني أغفل ذكر إنجيل (يوحنا) الذي يُعَدّ رابع الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، رغم ما يحوم حول تلك الأناجيل من اعتراضات وشكوك سواء فيما يتعلق بالسند أو بالمتن، وذلك باعتراف المنصفين من علمائهم ومؤرخيهم.[١]

ثانيًا ـ مخالفة النصارى لأحكام التوراة والإنجيل:

أشار الإمام العيني إلى طرف من تحريف النصارى لأحكام دينهم العقدية والتشريعية، مبينًا تاريخ بدء انتشار تلك الأحكام المحرّفة وإقرارها رسميًّا، حيث قال:

" وقد خالفوا [يعني النصارى] أحكامَ التوراة والإنجيل في غير ما شيء قد شرعوه لأنفسهم، فمن ذلك: صلاتهم إلى الشرق وليست منصوصًا عليها ولا مأمورًا بها في شيء من الأناجيل الأربعة*، وكذا تصويرهم في كنائسهم، وتركهم الختان، ... وأكلهم الخنزير

(١) يراجع في ذلك على سبيل المثال: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص ٤٠– ٥٧، وكذلك: الباب الثاني والثالث من كتاب (إظهار الحق)، للشيخ رحمت الله الهندي ت ١٣٠٦هـ.

* يقول الإمام الطاهر بن عاشور: " اعلم أن اليهود يستقبلون بيت المقدس وليس هذا الاستقبال من أصل دينهم ...

" وأما النصارى فإنهم لم يقع في إنجيلهم تغيير لما كان عليه اليهود في أمر الاستقبال في الصلاة ولا تعيين جهة معينة ولكنهم لما وجدوا الروم يجعلون أبواب هياكلهم مستقبلة لمشرق الشمس بحيث تدخل أشعة الشمس عند طلوعها من باب الهيكل وتقع على الصنم صاحب الهيكل الموضوع في منتهى الهيكل عكسوا ذلك فجعلوا أبواب الكنائس إلى الغرب وبذلك يكون المصلون مستقبلين الشرق، ..." (التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٣هـ، (٢/ ٩، ١٠) بتصرف، الدار

... والرهبانية وهي ترك التزويج لمن أراد التعبد وتحريمه عليهم [أي على الرهبان]، وكتابتهم القوانين التي وضعها لهم الأساقفة الثلاثمائة والثمانية عشر*؛ فكل هذه الأشياء ابتدعوها، ووضعوها في أيام قسطنطين ... على ما ذكرناه فيما مضى [يعني عند حديثه عن مجمع نيقية] ..."[١]

ثم أشار الإمام العيني إلى تحريفهم النصوص التي تتضمن البشارات الخاصة بالنبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ الواردة في كتبهم، حيث قال:

" ومن ذلك أنهم غيّروا صفات النبي – عليه الصلاة والسلام – في التوراة والإنجيل. وعن مقاتل بن حيان* قال: (أوحى الله إلى عيسى بن مريم: جدّ في أمري ولا تزل،

=التونسية للنشر، تونس، طبعة سنة ١٩٨٤هـ)

ويقول الإمام ابن القيم: " إن الله لم يأمر النصارى باستقبال الشرق قط، بل هم تولوا هذه القبلة من تلقاء أنفسهم وولوها وجوههم." (بدائع الفوائد، الإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، (٤/ ١٦٠) بتصرف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت)

* وفي مقدمة تلك القوانين: قانون إيمان مجمع نيقيا، ونصه هكذا:

"نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، أي من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء مما في السماء وعلى الأرض، ..." (يراجع: المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م، مرجع سابق، ص ٣١١– ٣١٨)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٨ ش بتصرف.

* مقاتل بن حيان: هو الإمام، العالم، المحدث، الثقة، أبو بسطام النبطي، البلخي، الخراز. طوَّف وجال، وحدّث عن: الشعبي، ومجاهد، والضحاك، وروى عنه: إبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن المبارك. وكان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، صاحب سنّة. وثّقه يحيى بن معين. توفي في حدود الخمسين ومائة. وعاش مقاتل بن سليمان المفسّر الضعيف بعده أعواما. (يراجع: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ، ت شعيب الأرناؤوط وآخرين، (٦/ ٣٤٠، ٣٤١) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط.ثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)

واسمع وأطع يا ابن الطاهرة* البكر البتول، إني خلقتك من غير فحْل [أي من غير أب] وجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، وقل لأهل سوران*: إني أنا الحق القائم الذي لا أزول، صدّقوا بالنبي العربي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين ... الأدعج العينين ...، الواضح الخدين، الكث اللحيين، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، ريح المسك ينفَح منه ...) رواه يعقوب بن سفيان*.

---

* في الأصل: (يا ابن الطاهر).

* يعني قومه الذين يتكلمون باللغة السريانية، كما يظهر من رواية ابن أبي حاتم التي ذكرها السيوطي، ونصها هكذا: "أوحى الله إِلَى عِيسَى ابْن مَرْيَم عليه السلام ... خُذ كتاب الإنجيل بقوّة ففسره لأهل السريانية وَأخْبرهمْ إِنِّي أَنا الله لَا إِلَه إِلَّا أَنا الْحَيّ القيوم ..." (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي ت ٩١١هـ، (٤/ ٦٤٤، ٦٤٥)، دار الفكر، بيروت، د.ت)

* يعقوب بن سفيان الفسوي: هو الإمام، الحافظ، الحجة، الرحّال، محدث إقليم فارس، مولده: في حدود عام تسعين ومائة، وله (تاريخ) كبير جم الفوائد، ارتحل إلى الأمصار، ولحق الكبار، وسمع: أبا عاصم النبيل، وعبيد الله بن موسى، وسعيد بن منصور، وطبقتهم. حدث عنه: أبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو بكر بن خزيمة، ... توفي في سنة سبع وسبعين ومائتين. (يراجع: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٣/ ١٨٠ – ١٨٣) و(صاحب .. المدرعة): – بكسر الميم– أي: القتال والملاحم؛ أو أنه مأخوذ من أن المدرعة نوع من الثياب، ولا تكون إلّا من الصوف، وهي علامة التواضع ولبس الصالحين.

و(الأدعج العينين) – بمهملة وجيم– أي: الشديد سواد الحدقة مع سعتها.

(وريح المسك ينفح) – بفتح الفاء– أي: يهبّ (منه) وتظهر رائحته.

(يراجع: منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عبد الله بن سعيد الحضرميّ ثم المكي ت ١٤١٠هـ، (١/ ٢٦٦ – ٢٦٨)، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط.ثالثة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، وهذه الرواية التي ذكرها الإمام العيني، رواها الإمام البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٧٨)، وكذا ذكرها الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٥٥٠)، وعزاها إلى البيهقي في (الدلائل) من طريق يعقوب بن سفيان، فلتراجع.

فهذا كله كان في الإنجيل فقلعوه بالكلية ورفعوه حسدًا عليه ﷺ.

وكذلك كان مكتوبًا بلسان العبراني ما تفسيره بالعربية: أقبل من سينا، وتجلّى من ساعر، وظهر من جبال فاران.*

وسينا هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى – عليه الصلاة والسلام –، وساعر هو جبل بالشام كان فيه عيسى – عليه الصلاة والسلام –، وجبال فاران مكة موضع مبعث النبي [محمد] – عليه الصلاة والسلام –."[1]

تعقيب:

بعد هذا العرض الموجز لتلك النماذج التطبيقية، يمكن استخلاص أبرز ملامح المنهج التاريخي لدى الإمام العيني، وذلك في النقاط التالية:

١- التركيز على الأحداث المهمة في تاريخ الديانة النصرانية، وفي مقدمة ذلك مجمع نيقية الذي مثّل نقطة فارقة في تاريخ تلك الديانة وتطورها.

٢- الترتيب الزمني للأناجيل التي أقرها النصارى، مع إغفال ذكر إنجيل (يوحنا)، وقد يكون إغفاله لذكر ذلك الإنجيل بسبب ما أُثير – من بعض النصارى أنفسهم

---

* ورد في سفر التثنية (٣٣/ ٢) النص هكذا: " جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران" (الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بالقاهرة، الإصدار الثالث، ط.خامسة، ٢٠٠٦م) وقد أورد الإمام ابن كثير هذا النص بنحوه في فصل (اشتمال الكتب المتقدمة على بشارة النبي) من كتابه البداية والنهاية، ثم عقَّب عليه قائلًا:

" أي جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده، وأشرق من ساعير، وهي جبال بيت المقدس، المحلة التي كان بها عيسى بن مريم، عليه السلام، واستعلن أي ظهر وعلا أمره من جبال فاران، وهي جبال الحجاز بلا خلاف، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؛ فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي؛ ذكر محلة موسى، ثم عيسى، ثم بلد محمد ﷺ ..." (البداية والنهاية، مرجع سابق، (٩/ ١٠٧، ١٠٨)

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ٩ ي، ش بتصرف.

– حوله من اللغط والاختلاف مقارنة بالأناجيل الثلاثة الأخرى؛ وذلك لما تفرَّد به من نزعة فلسفية وتصريح بألوهية المسيح.١

٣– الإشارة إلى أهم العقائد والتشريعات التي ابتدعها النصارى في دينهم، مع بيان تاريخ بدء انتشارها وإقرارها، بالإضافة إلى بيان طرف مما لعبت به أيدي التحريف، وفي مقدمتها صفات النبي الخاتم ﷺ الواردة في كتبهم.

٤– الاعتماد على المصادر الأصيلة لاختيار المادة الوثائقية للتأريخ للديانة النصرانية، والتدليل على تحريفها؛ حيث إنه يتبين من خلال البحث والمراجعة أن الإمام العيني اعتمد على كتاب (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وهو من المؤرخين المحققين، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وخاصة عند الحديث عن كلٍّ من (أحداث مجمع نيقية)، (مخالفة النصارى لأحكام التوراة والإنجيل ودلائل تحريفهما)٢، ولم يشر الإمام العيني إلى ذلك المصدر، وقد سبق التعليق على قضية عدم الإشارة إلى المصدر في كتابات المتقدمين – في المطلب الثاني من المبحث الأول –، فليُراجع.

٥– اتباع المنهجية العلمية في التعامل مع الإسرائيليات*، وحسن توظيفها للدلالة على المطلوب، وقد تبين ذلك من خلال إيراد الإمام العيني ذلك الأثر الذي رواه يعقوب بن سفيان عن مقاتل بن حيان فيما يتعلق بأوصاف النبي الخاتم ﷺ التي أوحاها الله ﷻ إلى سيدنا عيسى عليه السلام، ويلاحظ أن ذلك الأثر موافق لما جاء في القرآن الكريم، وما ثبت من أوصاف سيدنا محمد ﷺ في كل من كتب (دلائل النبوة) و(الشمائل المحمدية).

---

(١) يراجع: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص ٤٩– ٥٤.

(٢) يراجع: البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣/ ٨٤– ٨٧)، (٣/ ٥٥٠)، (٩/ ١٠٧، ١٠٨).

* وتتلخص هذه المنهجية في قبول تلك الأخبار إذا كانت موافقة للكتاب والسنة، وردّها إذا كانت مخالفة للكتاب والسنة، والتوقف فيها بدون تصديق أو تكذيب إذا لم يرد فيها نص يوافقها أو يناقضها من الكتاب والسنة. (يراجع: البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣/ ٣٤، ٧٧).

٦- الاعتماد على نصوص العهد القديم للتدليل على وجود البشارة بالنبي الخاتم ﷺ في الكتب السابقة.

٧- الدقة في التحليل للمادة الوثائقية، حيث عقَّب الإمام العيني على الأثر المروي عن مقاتل بن حيان فيما يتعلق بأوصاف النبي الخاتم ﷺ التي أوحاها الله ﷻ إلى سيدنا عيسى عليه السلام، قائلًا: (فهذا كله كان في الإنجيل فقلعوه بالكلية ورفعوه حسدًا عليه [ﷺ])، ويلاحظ في التعبير بلفظ (فقلعوه) الإشارة إلى أن القوم بذلوا غاية جهدهم في حذف تلك الأوصاف من كتابهم. وعند إيراد نص العهد القديم المتضمن البشارة بالنبي الخاتم ﷺ كان دقيقًا في عبارته: (كان مكتوبًا بلسان العبراني)، ولم يصرّح بحذف ذلك النص للإشارة إلى أنه ما زال باقيًا في كتب القوم ليكون حجةً عليهم، ودلالة على صدق النبي الخاتم ﷺ.

المبحث الثالث
المنهج الجدلي وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

يُعَدّ المنهج الجدلي من أهم المناهج العلمية في دراسة الأديان، وفي هذا المبحث يتم التعريف بذلك المنهج، ثم يتم عرض بعض النماذج التطبيقية عليه لدى الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الأول
التعريف بالمنهج الجدلي وأهميته وأسسه

يتبوّأ المنهج الجدلي مكانة بارزة بين مناهج البحث العلمي، وفي هذا المطلب يتم التعريف به، وبيان أهميته وأسسه على النحو التالي:

تعريف المنهج الجدلي:

المنهج الجدلي منهج إسلامي أصيل، وقد تعددت تعريفات علماء المسلمين لمصطلح (الجدل) أو (الجدال) على النحو التالي:

يقول الإمام الجويني: " المجادلة مفاعلة من الجدل، وإن كان في عُرف النُّظّار الجدل والجدال لا يكون إلا بين اثنين – كالمجادلة.

" وأما حقيقته – في عرف العلماء بالأصول والفروع –، فقد اختلفت عباراتُهم في حدِّه؛ فذهب بعضُ المتأخرين إلى أن حدَّه: هو دفعُ الخصم بحجة أو شبهة ...

ومنهم من قال: حدّه أنه تحقيق الحق، وتزهيق الباطل ...

ومنهم من قال: هو طلب الحكم بالفكر مع الخصم ...

والصحيح أن يقال: [هو] إظهار المتنازعَين مُقْتَضَى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة."[١]

(١) الكافية في الجدل، للإمام الجويني ت ٤٧٨هـ، ت د/ فوقية حسين محمود، ص ٢٠، ٢١، مطبعة

ويقول الراغب الأصفهاني: " الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جَدَلْتُ الحبل، أي: أحكمت فتله ... ومنه: الجِدَال، فكأنّ المتجادلين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجِدَال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدَالَة، وهي الأرض الصلبة."(١)؛ "فيكون كلُّ واحد من الخصمين يروم غلبة صاحبه بإسقاط كلامه بتقوية كلام نفسه عليه، كالمتصارعين يروم كلٌّ إسقاط صاحبه بغلبته وقوته عليه."(٢)

ويبين الشيخ محمد أبو زهرة الفرق بين مصطلح (الجدل) وغيره من المصطلحات ذات الصلة به، حيث يقول:

" تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل والمكابرة، وأحيانًا تطلق إحداها في موضع الأخرى، وفي الحق أن بينها اختلافًا واضحًا في الاصطلاح.

فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه.

والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال.

والمكابرة لا يكون الغرض منها إلزام الخصم، ولا الوصول للحق، بل اجتياز المجلس، والشهرة أو مطلق اللجاجة، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلًا.

ويُلاحَظ أمران:

أحدهما: أن المناقشة الواحدة قد تشتمل على كل هذه الأنواع الثلاثة، قد يبتدئ المناقشان متناظرين طالبين للحق، فينقدح في ذهن أحدهما رأي يثبت عليه، ويأخذ في

=عيسى البابي الحلبي، القاهرة، طبعة سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، ص ١٨٩، ١٩٠، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط. أولى ١٤١٢هـ.

(٢) الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص ٢٢.

جذب خصمه إليه، وإلزامه به، وحينئذ تنقلب المناظرة جدلًا. وقد تدفعه اللجاجة إلى التعصب لرأيه، وتأخذه العزة بالإثم، تبدو له الحجج واضحة على نقيض رأيه، ويبدهه خصمه بالدليل تلو الدليل، فلا يحير جوابًا، ومع ذلك يستمر في لجاجته، فينتقل الجدل إلى مكابرة ...

ثانيهما: أن الجدل قد يطلق في اللغة ويُراد منه المناظرة، كقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦] ..."[١]

وهذا الجدال المقيد بوصف "الحُسنى" بغية الوصول إلى الصواب هو الجدال المحمود، وهو المعنى المقصود عند التعريف بالمنهج الجدلي عند العلماء المحدثين.

وبناءً على ذلك يعرّف الدكتور/ حلمي عبد المنعم صابر (المنهجَ الجدلي)، حيث يقول:

" المنهج الجدلي: هو منهج الحوار والمناظرة، حيث يقوم شخصان أو فريقان بمحاورة بعضهما البعض بأسلوب علمي من أجل الوصول إلى الحقيقة، مستخدمين في ذلك وسائل أو مناهج الاستدلال المختلفة."[٢]

أهمية المنهج الجدلي:

للمنهج الجدلي أهمية عظيمة في بيان الحق والدفاع عنه، ويبين ذلك الإمامُ الجويني، في معرض بيانه لأنواع الجدل، حيث يقول:

" من الجدل ما يكون محمودًا مَرْضِيًّا، ومنه ما يكون مذمومًا محرّمًا؛

فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق، أو تحقيق العناد، أو ليُلْبِس الحق بالباطل ...، أو للمماراة وطلب الجاه والتقدم إلى غير ذلك من الوجوه المنهيّ عنها، ...

---

(١) تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٥، ٦، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٢.

وأما الجدال المحمود المدعوُّ إليه، فهو الذي يحقِّق الحق ويكشف عن الباطل ويهدي إلى الرشد، مع مَن يُرجَى رجوعُه عن الباطل إلى الحق ...

" ومما يدل على حُسْن الجدال، بل على وجوبه، من طريق المعنى: ما ثبت من وجوب معرفة الشريعة، على الجملة، فرضًا على الكافّة، وتفاصيلها فرضًا على الكفاية.

ولا سبيلَ إلى ذلك دون معرفة أصولها، من أدلة العقول وأحكامها، فإذا رأى العالمُ مثلَه يزلُّ ويخطئ في شيء من الأصول والفروع وجبَ عليه، من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاؤه عن الباطل ودعوتُه إلى الحق وطريق الرشد والصواب فيه؛ فإذا لجَّ في خطابه، وقوَّى على المُحِقِّ شبهتَه، وجب على المصيب دفعُه عن باطله والكشفُ له عن خطئه بما أمكنه من طريق البرهان وحسن الجدال؛ فحَصَل – إذ ذاك – بينهما المجادلة، من حيثُ لم يجد بُدًّا منه في تحقيق ما هو الحق، وتمحيقِ ما هو الشبهة والباطل.

وصار – إذ ذاك – بهذا المعنى: الجدالُ، من آكدِ الواجبات، والنظر، من أُولَى المهمات. وذلك يعُمُّ أحكام التوحيد والشريعة."[١]

هكذا بين الإمام الجويني أهمية الجدال بالتي هي أحسن للوصول إلى الحق وبيان أحكام الشريعة الغرّاء، وقد أشار إلى أن ذلك الجدال قد يرد بين علماء المسلمين تحقيقًا لهذا المقصود العظيم.

هذا، وقد يقع الجدال بين المسلمين وغيرهم لدعوتهم إلى الدين الحق ودفعًا لشبهاتهم التي يثيرونها حوله، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم، في معرض بيانه للوجوه المستفادة من قصة (وفد نجران)*، حيث قال: " وفي هذه القصة جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من

(١) الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص ٢٢– ٢٤ بتصرف.

* يراجع أصل هذه القصة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح رقم ٤٠٢٩.

يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ..."[١]

ثم قال: " والمقصود: أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن ...، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، ..."[٢]

" وإذا كان هدف الجدال في القرآن هو: هداية الحيارى، وإزالة اللبس والغبش الذي يحجبهم عن الحق، فإن من أهدافه كذلك كشف الباطل وتعريته، ... حتى لا يستأسد الباطل، ويُفتن به أهل الحق؛ فقمع أهل الباطل وفضح مخازيهم أمر مطلوب في حالة إصرارهم على باطلهم؛ ولهذا يتوجّب على كل ذي علم وحجة أن يرد شبهات أعداء الإسلام، وأن يقوم بتفنيد المذاهب والاتجاهات الفكرية الضالة التي تعمل ليل نهار على فتنة المسلمين ..."[٣]

أسس المنهج الجدلي:

للمنهج الجدلي في الإسلام أسسٌ قويمة، ودعائم متينة، "وقد قام علماء المسلمين – في ضوء التوجيهات القرآنية – بوضع أصول الجدال وآدابه، وأسمَوْه: علم البحث والمناظرة، وكان لهم فضل السبق والريادة في تأسيس المنهج الجدلي، قبل أن تعرف أوربا "المنهج الجدلي الحديث" بعدة قرون."[٤]

والمنهج الجدلي له أسس عامة، وأسس خاصة.

أما الأسس العامة، فهي بمثابة الضوابط – أو الآداب – والمحاذير التي ينبغي

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، (٣/ ٥٥٨، ٥٥٩) بتصرف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، (٣/ ٥٦١).

(٣) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٤، ١٠٥ بتصرف.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٥ بتصرف.

مراعاتها؛ حتى يؤتي (الجدل) ثمرته المرجوة من إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ومن أهم الضوابط أو الآداب العامة للجدل ما بيّنه الإمام أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ)، حيث عقد في كتابه (الكافية في الجدل) فصلًا بعنوان (في آداب الجدل)، واستهلّه بقوله:

" فأول شيء فيه ممّا على الناظر* أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته في امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ... ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل.

ويتقي اللهَ أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه، والتكسُّب والمُماراة، ... ويحذر أليم عقاب الله سبحانه. ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر؛ فإنه من دأب الأنعام الفحولة: كالكباش والدِّيكة."[١]

ومن أهم المحاذير التي ينبغي تفاديها في (الجدل) أو (المناظرة) ما أشار إليه د/ حلمي عبد المنعم صابر، حيث قال:

" لقد بين علماء المسلمين قواعد الاستدلال، وأسلوب الحوار، وآداب المناظرة، ومنعوا كل وسيلة في الحوار تخرج بالمناظرة عن غايتها الأساسية، وهي العمل على إظهار الحق ودحض الباطل؛ ولذلك منعوا في المناظرة أمورًا كثيرة، منها: المكابرة، والمصادرة، والمعاندة، والغَصْب، وبيانها كالآتي:

المكابرة: هي المنازعة لا لإظهار الصواب، ولا لإقناع الخصم، ولكن لبيان الفضل والانتصار والغلبة.

المصادرة: هي الإبهام في اللفظ وعدم تحديد المصطلحات، واللعب بالألفاظ؛ حتى

---

* عبّر الإمام الجويني عن الشخص المجادل بالناظر؛ بناء على أن الجدل مرادف للمناظرة، وهي مفاعلة من النظر الذي يعني (التفكر والاستدلال). (يراجع: الكافية في الجدل، ص ١٧– ١٩)

(١) الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

يُلبّس على الطرف الآخر في استدلاله.

المعاندة: هي أن ينازع أحد الطرفين، ويُصرّ على نزاعه رغم علمه بفساد رأيه خشية الإحراج والهزيمة.

الغَصْب: هو أن يأخذ المجادل في بطلان دعوى الخصم دون أن يترك له فرصة لإقامة أدلته وتقرير دعوته."[١]

وأما الأسس الخاصة للمنهج الجدلي، فيمكن استقاؤها من تعريف مصطلح (الجدل) الذي عرّفه الإمام الجويني بقوله: "[هو] إظهار المتنازعَين مُقْتَضَى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة."[٢]

وقد استخلصت د/ فوقية حسين محمود تلك الأسس في مقدمة تحقيقها لكتاب (الكافية في الجدل) للإمام الجويني، حيث قالت:

" إن الكثير من هذه الأسس [الخاصة] يتبين من واقع تعريف الجدل الذي سبق وأثبتناه ... وهذه الأسس هي:

١- أن (الجدل) لا بدَّ أن يكون بين طرفين.

٢- أن كل واحد من الطرفين له موقف من المنظور فيه مخالف لما عليه مجادله؛ وذلك لأن تعريف (الجدل) قائم على مفهوم التنازع بين مقتضيات كل نظرة.

٣- أن يتم (الجدل) على (التدافع والتنافي)، فإذا تمَّ عن طريق المعاونة والموافقة فهذا لا يُعَدّ جدلًا."[٣]

---

(١) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٥، ١٠٦ بتصرف، ويراجع: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محيى الدين عبد الحميد، ص ٧٩، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط. أولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢) الكافية في الجدل، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب (الكافية في الجدل)، مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٩ بتصرف.

هكذا يتبين من خلال ما سبق أن المنهج الجدلي منهج إسلامي أصيل قائم على الحوار، سواء بين المسلمين بعضهم البعض، أو بين المسلمين وغيرهم؛ بيانًا للحق ودفاعًا عن الدين الإسلامي الحنيف.

المطلب الثاني
تطبيقات المنهج الجدلي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان

لقد سبقت الإشارة في التمهيد إلى أن الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في عصر الإمام العيني – قد اتسع نطاقه وبدت مظاهره في التآليف والمحاورات بين الفريقين، وكان للإمام العيني مشاركة جليلة في هذا المجال؛ حيث ألف كتابه الموسوم بـ (المجارى في قطع شبه النصارى)، وقد بدأ ذلك الكتاب ببيان طرف من حقيقة الديانة النصرانية وتاريخها وما آلت إليه من التحريف، ثم شرع في المقصود من كتابه مبينًا بطلان أبرز عقائد تلك الديانة المحرفة، ثم ساق أبرز القضايا التي كانت محلّ المحاورة التي جرت بينه وبين أحد الأساقفة، وفي هذا المطلب يتم تناول بعض المسائل في هذا الشأن، ليتبين تطبيق الإمام العيني قواعد المنهج الجدلي في دراسة الأديان.

المسألة الأولى – في مناقشة عقيدة التثليث لدى النصارى:

لقد عقد الإمام العيني في كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) فصلًا بعنوان: (في بيان بطلان دينهم وما ذهبوا إليه)، وقد استهلّه قائلًا:

" اعلم أن الله – تعالى – أخبر في كتابه الكريم في غير ما موضع أن النصارى واليهود ليسوا على شيء ... وأن ما يعتقدونه من الدين باطل، ولكنهم لا يرتدعون بذلك لأنهم ينكرون القرآن؛ فينبغي أن نردّهم ونردّ عليهم بنظير دلائلهم العقلية."[١]

ثم شرع في مناقشة عقيدة التثليث لدى القوم، حيث قال:

" ولمّا كان هؤلاء [يعني النصارى] ادّعوا بالأقانيم الثلاثة* ... وأثبتوا إلهية عيسى،

---

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ١٢ ي، ش.

* قال الإمام العيني: "اعلم أن معنى الأقنوم هو الأصل .. وتجمع على أقانيم." (مخطوط (السيف المجارى..)، ل ٩ ش)، " ومما يجدر ذكره أن كلمة: "الأقنوم والأقانيم" لم ترد في كتاب النصارى

فنقول: أولًا إنه لا بدّ أن يكون للعالم الذي نشاهده صانع ومدبر، وهم متفقون معنا في ذلك؛ لأنه لا بدّ للبناء من بانٍ وللنسج من ناسج وللكتابة من كاتب ...، فهذا بيّنٌ لا إشكال فيه ولا نزاع ... فثبت أن للعالم صانعًا ...

ولو كان الصانع اثنين أو ثلاثة لظهر الفساد؛ لأن الخلاف بين الاثنين مقرر وجائز ...

ولا يصح أن يريد أحدهما ما أراد الآخر؛ لأن من شرط إرادة كل واحد منهما أن تكون موجودة به دون الآخر، فإذا كان ذلك ممكنًا فلا يخلو: أن يتم ما يريدان جميعًا، أو لا يتم ما يريدان جميعًا، أو يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر.

فمحال أن يتم ما يريدان جميعًا، فهما إذًا عاجزان والقديم لا يكون عاجزًا بإجماعٍ على ذلك، فلم يبق إلا أن يتم مراد الآخر، فالذي تم مراده هو الإله والذي لم يتم مراده ليس بالإله لأنه عاجز ضعيف، وقد قال الله – تعالى – مؤكِّدًا لما في العقل من ذلك: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]

فثبت بهذه المقدمات أن الله – تعالى – واحد، فإذا ثبت ذلك عقلًا بطل القول بأنه ثلاثة أقانيم، وهي الوجود والحياة والعلم. والوجود هو الآب والابن هو العلم والحياة هي الروح القدس ...

بل يجوز للقائل أن يقول لهم: فلِمَ زعمتم أن الأقانيم ثلاثة، ولَمْ تزعموا أنها أكثر من ذلك؟ ولِمَ عددتم الوجود والحياة والعلم، وتركتم عدَّ الإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء؟ وليس لهم عن ذلك جواب أصلًا."[١]

=المقدس، وليس لها مدلول لغوي متفق عليه، ولعلها من تسرب وثنيات الفكر الفلسفي إلى عقول آباء الكنيسة." (أصول النصرانية في الميزان، د/ محمد سيد المسيّر، ص ٢٤، ٢٥، مكتبة الصفا، القاهرة، ط. أولى ١٤١٩/ ١٩٩٨م).

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ١٢ ي، ل ١٣ ي، ش بتصرف.

المسألة الثانية – نصّ (المحاورة) التي جرت بين الإمام العيني والأسقف النصراني:

لقد عقد الإمام العيني الفصل التاسع من كتابه (المجارى في قطع شبه النصارى) تحت عنوان: (في بيان ما وقع بيني وبين ذلك الأسقف من الأبحاث)، وقد استهلّه قائلًا:

" اعلم أني قد ذكرت لك في أول الكتاب أني أُخبرت أن راهبًا كان يبحث مع المسلمين وينصر دين النصرانية، وأنه قد غلب كثيرًا من الناس، وأني قد تحلّيت لذلك حتى اجتمعت به، فوقعت بيني وبينه محاورة كثيرة ..."[١]

ثم ذكر أمرين دارت عليهما معظم تلك المحاورة، وهما:

١- إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ. ٢- إبطال ألوهية المسيح عليه السلام.

أما الأمر الأول، فيبينه الإمام العيني، حيث يقول:

" فوقعت بيني وبينه محاورة كثيرة ... إلى أن قال لي:

ما الدليل على نبوة نبيكم محمد الذي تدّعون أنه نبي رسول أُرسِل إليكم؟

قلت: كما نُقِل إلينا أن عيسى – عليه الصلاة والسلام – ظهرت على يده المعجزات والخوارق كإحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه ونزول المائدة عليه وغير ذلك، وكذلك أن موسى – عليه الصلاة والسلام – ظهرت على يده الآيات والمعجزات من قلب العصا حية وانفلاق البحر له وغير ذلك، وغيرهما من الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –، نُقِل إلينا أن نبينا محمدا ﷺ ظهرت على يده المعجزات كانشقاق القمر وتسبيح الحصى في كفه ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك ...

فإن رددت التواتر وقلت: إن هذا لا يدل على النبوة، ولا ظهور المعجزات يدل على الصدق، فقد أبطلت نبوة الأنبياء حتى عيسى – عليه الصلاة والسلام –، وإن اعترفت أن التواتر صحيح وأنه مقبول، واعترفت أن المعجزات تدل على الصدق، فقد اعترفت

(١) المرجع السابق، ل ١٤ ي، ش.

بنبوة سائر الانبياء – عليهم الصلاة والسلام –، ونبينا أيضًا داخل في ذلك؛ فوجب الاعتراف قطعًا بنبوته، وهذا أمر ضروري لأن الاستواء في الدليل يوجب الاستواء في المدلول ..."[١]

وبعد أن أقام الإمام العيني الحجة لإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ اعتمادًا على (قياس التمثيل)، إذا به يورد دعوى الأسقف ألوهية المسيح والرد عليها، حيث قال:

" ثم قال الراهب: أنا لا أقول: إن عيسى – عليه الصلاة والسلام – كان نبيًّا، بل أقول: إنه كان إلهًا.

فقلت: هذا باطل قطعًا، ويدل عليه وجوه:

الأول – أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، بحيث لا يكون جسمًا ولا متحيّزًا ولا عرضًا، وعيسى – عليه الصلاة والسلام – عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وُجِد بعد أن كان جنينًا ثم كان طفلًا ثم كان مترعرعًا ثم صار شابًّا ثم صار رجلًا مستويًا، وكان يأكل ويشرب ويُحدِث وينام ويستيقظ، وقد تقرر في العقول [أن] المحدَث لا يكون قديمًا والمحتاج لا يكون غنيًّا والممكن لا يكون واجبًا والمفتقر لا يكون دائمًا؛ فثبت أن عيسى لا يصلح أن يكون إلهًا.

الثاني – أنكم تقولون: إن اليهود أخذوه وقتلوه وصلبوه على الخشبة، فلو كان إلهًا لوجب أن يكون الإله عاجزًا محلًّا للموت؛ فهذا محال على الإله.

الثالث – أنكم تقولون: إنه حين أحسّ بأنه مطلوب احتال في الهرب، وأظهر الجزع الشديد؛ فمن يكون إلهًا لا يصدر منه هذه الأشياء ..."[٢]

وبعد أن أبطل الإمام العيني دعوى ألوهية المسيح عليه السلام اعتمادًا على دليل (الحدوث)، بالإضافة إلى إلزامهم بما في كتبهم، إذا به يتوجه إلى مناقشة دليل الخصم،

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ١٤ ش، ل ١٥ ي.

(٢) المرجع السابق، ل ١٥ ي، ش.

حيث قال: " ثم قلت له: وما الدليل على كون عيسى – عليه الصلاة والسلام – إلهًا عندك؟

فقال: الذي دلّ على [ذلك] ظهور العجائب من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله.

قلت له: قلب العصا حية أبعد في العقل من إعادة الميت حيًّا؛ لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهًا ولا ابن إله؛ فبان [أنه] لا يدل إحياء الموتى على الألوهية كان أولى، فعند ذلك انقطع النصراني وعجز عن إقامة الدليل على دعواه الباطلة، والله يحق الحق ويبطل الباطل."[١]

تعـقيب:

بعد هذا العرض الموجز لتلك النماذج التطبيقية، يمكن استخلاص أبرز ملامح المنهج الجدلي لدى الإمام العيني، وذلك في النقاط التالية:

١-الحرص على توظيف علوم المنقول والمعقول في إدارة الجدل بينه وبين الخصوم؛ إحقاقًا للحق وإبطالًا للباطل.

٢- التركيز على القضايا الرئيسة في الديانة النصرانية؛ إذ إن نقدها يغني عن نقد ما دونها.

٣- تقديم الأدلة العقلية عند مجادلة من ينكر الأدلة النقلية.

٤- الاعتماد على مسلمات الخصم؛ وذلك من أسس المجادلة بالتي هي أحسن، كما أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد الغزالي.[٢]

---

(١) مخطوط (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، ل ١٦ ي.

(٢) يراجع: القسطاس المستقيم، للإمام الغزالي، ص ٦٧، ٦٨، نقلًا عن (المدخل إلى دراسة علم الكلام)، د/ حسن محمود الشافعي، ص ١٩١، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.ثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥- عدم الاستهانة بالخصم، وحسن الإعداد لمحاورته؛ حيث قال الإمام العيني بشأن محاورة الأسقف: "فتحلّيت في ذلك"، أي تجهزت للقاء، وتحلّيت بحلية العلماء، وعدّة الأذكياء، مع تصريحه في ختام المحاورة بنسبة الفضل لله ﷻ في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٦- توظيف الأدلة الكلامية والأصولية في الرد على الخصوم، وقد تجلى ذلك في كلٍّ مما يلي:

* ناقش الإمام العيني عقيدة التثليث لدى القوم معتمدًا على (برهان التمانع والتوارد) المشهور لدى المتكلمين في إثبات وحدانية الله، ونفي الشركاء عنه سبحانه وتعالى.

* اعتمد الإمام العيني على (قياس التمثيل) – أحد أنواع الاستدلال الأصولي – لإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ حيث بين أن معجزاته التي أيده الله ﷻ بها دالّة على صدقه كما هو الشأن في معجزات الأنبياء السابقين، وقرر قاعدة (الاستواء في الدليل يوجب الاستواء في المدلول).

* اعتمد الإمام العيني على دليل (الحدوث) المشهور لدى المتكلمين، في إبطال دعوى ألوهية المسيح.

* اعتمد الإمام العيني على (قياس الأَوْلَى) – أحد أنواع الاستدلال الأصولي – في نقض الدليل الذي تمسك به الأسقف النصراني في دعوى ألوهية المسيح؛ حيث بين الإمام العيني أن معجزة العصا في حق موسى عليه السلام أبلغ من معجزة إحياء الموتى في حق المسيح عليه السلام، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهًا؛ فإنه لا يوجب إحياء الموتى كون المسيح عليه السلام إلهًا من باب أَوْلَى.

الخـاتمة

بعد هذه الدراسة لبيان (منهج الإمام العيني في دراسة الأديان)، يمكن استخلاص أهم ما توصلت إليه من نتائج ثم أهم التوصيات.

أولا: أهم النتائج

١- حياة الإمام العيني حافلة بالدروس والفوائد التي ينهل منها الدعاة في مراحلهم التأهيلية ومسيرتهم الدعوية، ومن أبرزها ما يلي:

* بيئة النشأة لها دور بالغ في إعداد الداعية؛ حيث كان الإمام العيني سليل أسرة عريقة من أهل العلم والفضل، إلى جانب ما تلقّاه من والده من رعاية وتوجيه.

* ضرورة الجمع في التأهيل العلمي للدعاة بين علوم الآلة وعلوم المقاصد، وقد تبين ذلك من خلال دراسة الإمام العيني علوم التصريف والنحو والبلاغة والمنطق والفقه وأصوله والتفسير والحديث وعلومه.

* أهمية تحلّي الداعية بالصبر على طلب العلم، حيث امتدت فترة التكوين العلمي للإمام العيني إلى ما يقرب من ثلاثة عقود، تلقى خلالها العلم على أيدي علماء بلاد الشام وبلاد الحجاز ومصر المحروسة.

* أهمية الجانب العبادي في حياة الدعاة، وخاصة في فترة الإعداد والتكوين، وقد تبين ذلك من خلال حرص الإمام العيني على أداء فريضة الحج وزيارة القدس الشريف خلال رحلاته العلمية المتعددة.

* أهمية التدريب العملي خلال فترة التنشئة العلمية للدعاة، وقد تبين ذلك من خلال ما تلقاه الإمام العيني من تدريب على ممارسة مهام القضاء والإفتاء والتدريس والكتابة العلمية تحت إشراف والده وشيوخه؛ مما أهله للقيام بتلك المهام في وظائفه العلمية والإدارية التي تقلّدها.

* أهمية إجازة الشيخ للطالب قبل التصدي لمباشرة مهامه الدعوية، وقد حرص

الإمام العيني على استجازة شيوخه، وذلك من خلال عرض باكورة مؤلفاته عليهم حتى أجازوه بالإفتاء والتدريس، وفي ذلك دليل على السبق الإسلامي في ميدان التأصيل لقواعد التأهيل العلمي لطلاب العلم والمستفيدين.

* ضرورة الاهتمام بالتراث الإسلامي، وقد تبين ذلك من خلال النتاج الفكري للإمام العيني المتّسم بالثراء والتنوع، مع العناية الخاصة بكتب التراث الإسلامي شرحًا وتدقيقًا، بالإضافة إلى عنايته بالتأريخ لأحداث عصره.

* أهمية الازدواج اللغوي للدعاة؛ حيث جمع الإمام العيني بين إجادة اللغة العربية واللغة التركية، وقد ساعده ذلك على القيام برسالته الدعوية خير قيام.

* الهمة العالية في أداء المهمة الدعوية بكافة وسائلها المتمثلة في الوعظ والتذكير والتدريس والإفتاء والقضاء والحوار والتأليف وغيرها، وقد ظهر ذلك جليًّا في حياة الإمام العيني التي نيَّفت على التسعين، دون كلل أو ملل، رغم ما تخلل ذلك من أحداث عظام سواء على المستوى الشخصي للإمام العيني أو على المستوى العام للأمة في عصره.

٢- أثبتت الدراسة صحة نسبة مخطوط (المجارى في قطع شبه النصارى) إلى الإمام بدر الدين العيني المتوفَّى سنة ٨٥٥هـ.

٣- تميزت المنهجية الإسلامية في البحوث العلمية بالسبق والأصالة والإبداع في شتّى مناحيها؛ ففي (المنهج الوصفي) جمع علماء المسلمين بين الوصف والتحليل والتعليل، وفي (المنهج التاريخي) أضافوا إلى الفحص الوثائقي قانونَ المطابقة الذي يُعنَى بمراعاة القوانين العامة للعمران والاجتماع البشري، وفي (المنهج الجدلي) وضعوا أسسًا متينة للجدال بالتي هي أحسن، تحقيقًا لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا الشأن.

٤- أجاد الإمام العيني في استخدام المناهج العلمية في دراسة الأديان، ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

* اعتماده على المصادر الأصيلة في دراسة الديانة النصرانية، سواء في بيان حقيقتها أو التأريخ لها، مع مراعاة حسن عرض المادة العلمية وتحليلها والتعقيب عليها.

* توظيفه كل ملكاته ومعارفه من علوم المنقول والمعقول في الدفاع عن الدين وردّ شبهات الطاعنين، وقد اتضح ذلك جليًّا في حسن استخدامه للأدلة الكلامية والأصولية في المحاورة التي جرت بينه وبين الأسقف النصراني، بالإضافة إلى إلزامه بما ورد في الكتب المقدسة لديه؛ حتى يكون ألزم في الحجة وأبلغ في الرد، مع الحرص على نسبة الفضل لله ﷻ في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ثانيا: التوصيات

١- دراسة وتحقيق مخطوط (المجارى في قطع شبه النصارى) للإمام بدر الدين العيني؛ نظرًا لقيمته العلمية في مجال الدراسات الدينية المقارنة.

٢- توجيه الدعاة والباحثين للعناية بمناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، والسير على منوالهم تأهيلًا وعطاءً.

هذا، والله ولي التوفيق، وصلّى الله، وسلّم، وبارك على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ... والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم – جلّ مَنْ أنزله –.

كتب التفسير:

١– تفسير (التحرير والتنوير)، للإمام الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة سنة ١٩٨٤م.

٢– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي ت ٩١١هـ، دار الفكر، بيروت، د.ت.

كتب السنة النبوية:

٣– سنن الإمام ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤– السنن الكبرى، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٥– صحيح الإمام البخاري، دار طوق النجاة، د.ت.

كتب الإمام العيني:

٦– (السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤– ٨٠١هـ/ ١٣٨٢– ١٣٩٨م من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، ت إيمان عمر شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.أولى ٢٠٠٢م.

٧– (السيف المجارى في قطع شبه النصارى)، للإمام العيني، وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية، برقم (٥٩٧) عقائد تيمور، رقم الميكروفيلم (٣٠٧٢٣).

٨– عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – العصر الأيوبي ٥٦٥– ٦٢٨هـ، لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، تحقيق ودراسة د/ محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، طبعة سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٩– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٠- منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، للإمام بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، ت د/ أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط.أولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

المراجع الأخرى:

١١- الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د/ بكر زكي عوض، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢- أصول النصرانية في الميزان، د/ محمد سيد أحمد المسيّر، مكتبة الصفا، القاهرة، ط.أولى ١٤١٩/ ١٩٩٨م.

١٣- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. خامسة عشرة ٢٠٠٢م.

١٤- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للإمام نجم الدين الطوفي، دراسة وتحقيق د/ سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط.أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٥- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، د/ رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ط.أولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٦- البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، د/ محمد الصاوي محمد مبارك، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط. أولى ١٩٩٢م.

١٧- البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، د/ عبد الله سمك، طبعة جامعية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨- البحث ومناهجه، د/ محمد فتحي عبد الهادي، الدار المصرية اللبنانية، ط.ثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٩- البداية والنهاية، الإمام ابن كثير ت ٧٧٤هـ، ت عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر،

ط. أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٠- بدائع الفوائد، الإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٢١- البلدان، لليعقوبي ت بعد ٢٩٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.أولى ١٤٢٢هـ.
٢٢- تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
٢٣- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ومعه (صلة تاريخ الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، عريب بن سعد القرطبي، دار التراث، بيروت، ط. ثانية ١٣٨٧هـ.
٢٤- التعريف بالإمام بدر الدين العيني وكتابه عمدة القاري، للباحث/ علي صلاح السواق وآخرين، بحث منشور في المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة طنطا، العدد الخمسون، ٢٠٢٣م.
٢٥- تقويم البلدان، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب ت ٧٣٢هـ، مكتبة الثقافة الدينية، أصبهان، إيران، د.ت.
٢٦- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ، دار العلم للملايين، بيروت، ط.أولى ١٩٨٧م.
٢٧- الذيل على رفع الإصر = بغية العلماء والرواة، للإمام السخاوي ت ٩٠٢هـ، ت د/ جودة هلال، أ/ محمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط.أولى د.ت.
٢٨- رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط. أولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
٢٩- رفع الإصر عن قضاة مصر، للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٣١- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ، ت شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط.ثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط.أولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي ت ٨٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٣٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام السخاوي ت ٩٠٢هـ، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ت،
٣٥- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، نسخة إلكترونية بصيغة pdf على شبكة الانترنت.
٣٦- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل – بيروت، جامعة الدول العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)، د.ت.
٣٧- الكافية في الجدل، للإمام الجويني ت ٤٧٨هـ، ت د/ فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، طبعة سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٨- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بالقاهرة، الإصدار الثالث، ط.خامسة، ٢٠٠٦م.
٣٩- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د/ يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط.أولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٤٠- لسان العرب، لابن منظور ت ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، د.ت.
٤١- المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ط.أولى ١٩٩٧م.
٤٢- محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة،

ط.ثالثة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٦م.
٤٣- المدخل إلى الكتاب المقدس، القس حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، د.ت.
٤٤- المدخل إلى دراسة علم الكلام، د/ حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.ثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٤٥- مدخل لدراسة علم الاجتماع، د/ إسماعيل عبد العليم علي، طبعة جامعية سنة ٢٠١٩م.
٤٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط.ثانية ١٩٩٥م.
٤٧- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، استانبول، تركية ، د. ت.
٤٩- معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم – المخطوطات والمطبوعات، علي الرضا قره بلوط، أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري، تركيا، ط.أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٥٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط. أولى ١٤١٢هـ.
٥١- الملل والنحل، الإمام الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، ت محمد فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.
٥٢- منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، عبد الله بن سعيد الحضرميّ ثم المكي ت ١٤١٠هـ، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط.ثالثة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥٣- المنجد في الأعلام، الأب فرديناند توتل اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة

الثلاثون ٢٠١١م.
٥٤- منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٤، بدون بيانات نشر
٥٥- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.
٥٦- النصرانية بين الحقيقة والتحريف، د/ عادل محمد محمد درويش، المنار للطباعة والنشر، ط.ثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٥٧- نظم العقيان في أعيان الأعيان، للإمام السيوطي ت ٩١١هـ، المكتبة العلمية – بيروت، د.ت.
٥٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام ابن القيم ت ٧٥١هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.

الرسائل الأكاديمية:

٥٩- كتابات آباء ما قبل مجمع نيقية ٣٢٥م – دراسة تحليلية، للباحث/ عبد المنعم محمد عبد المنعم أحمد، وهي رسالة ماجستير مُجازة من قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.
٦٠- المنهج التاريخي لبدر الدين العيني في كتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للباحث/ الديب عطية علي عثمان، وهي رسالة دكتوراه مُجازة من قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

فهرس المحتويات

ملخص البحث .....
المقدمة .....
التمهيد .....
أولًا– التعريف بالإمام العيني ونتاجه الفكري .....
ثانيًا– التعريف بمخطوط (المُجارى في قطع شبه النصارى) وتوثيق نسبته إلى الإمام العيني
المبحث الأول: المنهج الوصفي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المطلب الأول: التعريف بالمنهج الوصفي وأهميته وأسسه .....
المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الوصفي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المسألة الأولى – في بيان تسمية النصارى بهذا الاسم .....
المسألة الثانية – في بيان طوائف النصارى، واختلافهم في حقيقة المسيح عليه السلام .....
المبحث الثاني: المنهج التاريخي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المطلب الأول: التعريف بالمنهج التاريخي وأهميته وأسسه .....
المطلب الثاني: تطبيقات المنهج التاريخي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المسألة الأولى – في بيان أحداث مجمع نيقية .....
المسألة الثانية – في بيان تاريخ الكتب المقدسة لدى النصارى، وما آلت إليه .....
المبحث الثالث: المنهج الجدلي، وتطبيقاته لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المطلب الأول: التعريف بالمنهج الجدلي وأهميته وأسسه .....
المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الجدلي لدى الإمام العيني في دراسة الأديان .....
المسألة الأولى – في مناقشة عقيدة التثليث لدى النصارى .....
المسألة الثانية – نصّ (المحاورة) التي جرت بين الإمام العيني والأسقف النصراني .....
الخاتمة .....
المصادر والمراجع .....
فهرس المحتويات .....